

(٢)



لحجة الإسلام الإمام الغزالي

تحقيق وتعليق
موسى محمد علي

منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت





صدق الله العظيم



مقـــدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبيـــاء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع هديه الى يوم الدين • وبعد : فيقول الله تعالى :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » •

هذه الآية الكريمة ، هى آية وجوب الحج عند الجمهور •

فيجب الحج على المكلف فى العمر مرة واحدة ، بالنص والاجماع ، روى الامام أحمـــد فى مســـنده ، ومســـلم فى صحيحه وغيرهما ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

أيها الناس ، ان الله فرض عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت لـــا استطعتم ، ثم قال : ذرونى‌ما تركتكم ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه » •

وأخرج الامام أحمـــد ، وأبو داود ، والنســـائى ، وغيرهم عن أبن عباس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج ، فقام الأقرع بن حابس ، فقال : يارسول الله ، أفى كل عام ؟ فقال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » •

وقد يجب الحج أكثر من مرة واحدة وذلك لعارض ، كالنذر ، والقضاء •

ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد وهو الاسلام ، فلا يصح حج الكافر كصومه وصلاته ، ولا يشترط فيها التكليف ، بل يجوز

للولى أن يحرم عن المجنون ، وعن الصبى الذى لا يميز ، وحينئذ يصح حجهما ، روى ابن عباس رضى الله عنهما :

أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بامرأة وهى فى محفتها ، فأخذت بعضد صبى كان معها فقالت :

ألهذا حج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم ، ولك أجر » .

وعن جابر رضى الله عنه قال :

حججنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء ، والصبيان ، فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم .

ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام ، وهو التمييز ، فلا تصح مباشرة الحج من المجنون والصبى ، الذى لا يميز كسائر العبادات ، ويصح من الصبى المميز أن يحرم ويحج باذن الولى ، ولا يشترط فيها الحرية كسائر العبادات .

ولوقوعه عن حجة الاسلام شرطان زائدان : البلوغ والحرية ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« أيما صبى حج ثم بلغ فعليه حجة الاسلام ، وأيما عبد حج ثم عتق فعليه حجة الاسلام » .

ومعنى ذلك أن الحج عبادة عمر لا تتكرر ، فاعتبر وقوعها فى حالة الكمال ، ولأن التكليف تابع للتمييز ، فشرط هذا الحكم اذن يعـود الى ثلاثة : الاسلام ، والتكليف ، والحرية .

والفقير لو تكلف الحج وقع حجه عن الفرض ، كما لو تحمل الفتى خطر الطريق وحج ، وكما تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة .

ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد وهو الاستطاعة بنص الآية الكريمة . واستطاعة السبيل التى شرطها الفقهاء ، ونص عليها القرآن الكريم فى الآية السابقة : هى امكان الوصول اليه ، يقول ابن المنذر : « قالت طائفة من العلماء : الآية على العموم ، اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا اجماعا لأهـل العلم ، يوجب أن نستثنى من ظاهر الآية بعضا ، فعلى كل مستطيع الحج — يجد اليه السبيل بأى وجه كانت الاستطاعة — الحج على ظاهر الآية .

وأخرج الترمذى فى سننه بسنده عن على رضى الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من ملك زادا وراحـــلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا ، والله يقول فى كتابه :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » •

ومن طرائف الضحاك الطريفة أنه قال :

« اذا كان شابا صحيحا ليس له مال فليؤجر نفسه بأكله حتى يقضى نسكه » •

فقال له قائل : أكلف الله الناس أن يمشوا الى البيت ؟

فقال : لو كان لبعضهم ميراث بمكة ، أكان يتركه ؟

قال : لا ، بل ينطلق اليه ولو حبوا •

قال : فكذلك يجب عليه حج البيت » •

ويقول الامام مالك رضى الله عنه :

« الاستطاعة على اطاقة الناس ، الرجل يجد الزاد والراحلة ، لا يقدر على المشى ، وآخر يقدر على المشى على رجليه » •

ويقول الامام القشيرى :

« الاســتطاعة فنون : فيستطيع بنفســه وماله ، وهو الصحيح السليم • ويستطيع بغيره ، وهو الزمن المعصوب ، وثالث غفل الكثيرون عنه وهو مستطيع بربه وهذا نعت كل مخلص مستحق ، فان بلاياه لا تحملها الا مطايانا •

وحج البيت فرض على أصحاب الأموال ، ورب البيت فرض على الفقراء فرض حتم ، فقد ينسد الطريق الى البيت ، ولكن لا ينسد الطريق الى رب البيت ، ولا يمنع الفقير عن رب البيت » •

وكما أن الذى يحج بنفسه يحرم ويقف ثم يطوف بالبيت ويسعى ثم يحلق ، فكذلك من يحج بقلبه ، فاحرامه بعقد صحيح على قصد صريح ، ثم يتجرد عن لباس مخالفاته وشهواته ، ثم باشتماله بثوبى

صبره وفقره ، وامساكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى ، واطلاق خواطر المنى ، وما فى هذا المعنى •

ثم الحاج أشعث أغبر تظهر عليه آثار الخشوع والخضوع ، ثم تلبية الاسرار باستجابة كل جزء منك •

وأفضل الحج الشج والعج ، الشج صب الدم ، والعج رفع الصوت بالتلبية ، فكذلك سفك دم النفس بسكاكين الخلاف ، ورفع أصوات السر بدوام الاستغاثة ، وحسن الاستجابة ، ثم الوقوف بساحات القربة باستكمال أوصاف الهيبة ، وموقف النفوس عرفات ، وموقف القلوب الأسامى والصفات لعز الذات عند المواصلات ، ثم طواف القلوب حول مشاهدة العز ، والسعى بالأسرار بين صفى كشف الجلال ولطف الجمال •

ثم التحلل بقطع أسباب الرغائب والاختيارات ، والمنى والمعارضات بكل وجه •

أما فضل الحج ، وما وعد الله سبحانه وتعالى به عباده من الثواب الجزيل فقد :

أخرج الترمذى فى سننه بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد ، والذهب ، والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة » •

وأخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » •

وروى ابن حبان فى صحيحه عن ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة الا كتب الله له بها حسنة ، وحط عنه بها خطيئة ، فاذا وقفوا بعرفات ، باهى الله بهم ملائكته ، يقول :

أنظروا الى عبادى ، أتونى شعثا غبرا ، أشهدكم أنى غفرت ذنوبهم وان كانت عدد قطر السماء ، ورمل عالج[١] .

واذا رمى الجمار لم يدر أحد بماله حتى يتوفاه الله تعالى يوم القيامة ، واذا حلق شعره فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة ، فاذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمـه » .

وبعـــد :

فالحج هو القصد الى من تعظمه ، فقاصد بنفسه الى زيارة البيت ، وقاصد بقلبه الى شهود رب البيت ، فشتان بين حج وحج ، هؤلاء تحللهم عن احرامهم عند قضاء منسكهم ، وأداء فرضهم ، وهؤلاء تحللهم عن احرامهم عند شهود ربهم .

فأما القاصدون بنفوسهم فأحرموا عن المعهودات من محرمات الاحرام ، وأما القاصدون بقلوبهم فانهم أحرموا عن المساكنات وشهود الغير وجميع الأنام .

وسبيل من حج البيت أن يقوم بآداب الحج ، فاذا عقد بقلبه الاحرام يجب أن يفسخ كل عقد يصده عن هذا الطريق ، وينقض كل عزم يرده عن هذا التحقيق ، واذا طهر تطهر عن كل دنس من آثار الأغيار بماء الخجل ، ثم بماء الحياء ، ثم بماء الوفاء ، ثم بمـاء الصفـاء .

فاذا تجرد عن ثيابه تجرد عن كل ملبوس له من الأخلاق الذميمة ، واذا لبى بلسانه وجب ألا يبقى شـعرة من بدنه الا وقد استجابت لله تعـالى .

فاذا بلغ الموقف وقف بقلبه وسره حيث وقفه الحق بلا اختيار مقام ، ولا تعرض لتخصيص .

فاذا وقف بعرفات عرف الحق سبحانه ، وعرف له تعالى حقه على نفسه ، ويتعرف الى الله تعالى بتبريه عن منته ، وحوله ، والحق سبحانه يتعرف اليه بمنته وطوله .

---

(١) جمعه : « عوالج الرمال » وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه فى بعض كما فى النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

فاذا بلغ المشعر الحرام يذكر مولاه بنسيان نفسه ، ولا يصح ذكره لربه مع ذكره لنفسه •

فاذا بلغ منى نفى عن قلبه كل طلب ومنى ، وكل شهوة وهوى • واذا رمى الجمار رمى عن قلبه وقذف عن سره كل علاقة فى الدنيا والعقبى •

واذا ذبح ذبح هواه بالكلية وتقرب به الى الحق سبحانه ، فاذا دخل الحرم عزم على التباعد عن كل محرم على لسان الشريعة واشارة الحقيقة •

واذا وقع طرفه على البيت شهد بقلبه رب البيت •

فاذا طاف بالبيت أخذ سره بالجولان فى الملكوت •

فاذا سعى بين الصفا والمروة صفى عنه كل كدورة بشرية وكل آفة انسانية •

فاذا حلق قطع كل علاقة بقيت له •

واذا تحلل من احرام نفسه وقصده الى بيت ربه استأنف احراما جديدا بقلبه •

فكما خرج من بيت نفسه الى بيت ربه يخرج من بيت ربه الى ربه تعالى •

فمن أكمل نسكه فانما عمل لنفسه ومن تكاسل فان الله غنى عن العالمين •

وأما بعد :

فهذه كلمة متواضعة عن « أسرار الحج » موضوع هذا الكتاب الدقيق المعنى ، تحريت فيها ما فتح الله تعالى به لتكون نبذة نافعة لفهم هذا الكتاب ، كما أرجو من الله سبحانه وتعالى •

وكتاب أسرار الحج ، للامام حجة الاسلام أبى حامد الغزالى رضى الله عنه ، يبين من فوائده ما أجمل ، ويوضح من مسائله ما أشكل ، ويعرب من مهماته ما أغلق ، ويقيد من تقييداته ما أطلق ، شرح يشرح بحسن وضعه صدور ذوى الألباب ، ويفتح للمسترشدين لطرق الحق باب الصواب •

ذكر فيه مؤلفه ما يختص به من الكشف عن الأفعال الظاهرة المشروعة فى العموم والخصوص على ألسنة علماء الرسوم بالظواهر ، وأتبعه من الاعتبارات المختصة به فى أحوال الباطن بلسان التقريب والاختصار والاشارة والايماء .

ويوضح الامام الغزالى منهج كتاب « أسرار الحج » فيقول :

« ان الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتمام الاسلام ، وكمال الدين ، فيه أنزل الله عز وجل قوله :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وفيه قال صلى الله عليه وسلم :

« من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا ، وان شاء نصرانيا » .

فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ، ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال ، وأجدر بها أن تصرف العناية الى شرحها ، وتفصيل أركانها ، وسننها وآدابها ، وفضائلها وأسرارها ، وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى فضائلها ، وفضائل مكة ، والبيت العتيق ، وجمل أركانها وشرائط وجوبها .

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر الى الرجوع .

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة ، وأسرارها الخفية ، وأعمالها الباطنة .

ولما لهذا الكتاب من أهمية كان من الضرورى أن أترك — بعد هذه اللمحة — تفصيل ما اشتمل عليه هذا الكتاب من أسرار ومهمات للقارىء الكريم — على الرغم مما بذلته من جهد علمى — ليكون بمثابة مفاجأة علمية تسيطر على كيانه ووجدانه .

ذلك أننا حينما عقدنا العزم على تحقيق هذا الكتاب الثمين ، وابرازه فى صورة جلية واضحة لنقدمه لأصحاب الحال ، وللشغوفين بأعمال القلوب ، حينما اعتزمنا ذلك أخلصنا النية ، ووجهنا القلب الى العلى الأعلى ، أن يهيىء لنا من أمرنا رشدا ، وأن يمنحنا النجاح

والتوفيق ، وأن يبسط يده تعالى ليأخذ بأيدينا فى انجاز هذا العمل الجاد الذى لن يتحقق الا لمن ذاق فعرف وشاهد فوصل •

والحمد لله الذى هدانا لهذا ، فقد قمنا بتحقيق النص ـ تحقيقا دقيقا ـ وتخريج كل ما ورد فى الكتاب من احاديث تخريجا وافيا كاملا مع ذكر الحكم على درجه كل حديث هل : صحيح ، حسن ، مرسل ، ضعيف موضوع ، وما شاكل ذلك مع اضافه شرح الكلمات الغامضه ، وتوضيح المسائل المبهمة والتعليق المناسب لها •

واما المؤلف المغفور له ، فعلى الرغم من انتشار علمه ، وتداول كتبه ، واشتهار صيته ، وطيب سمعته وثناء الخلق عليه ، وحسن الثقه به ، وحب الصالحين له ، وحبه لهم ، فهو على الرغم من هذا كله ، غنى عن التعريف ، خاصة وقد كثر فى زماننا عدد من ترجموا له من عباقرة العلماء ، وأشهر المفكرين منذ وفاته حتى عصرنا الحديث •

ونكتفى هنا بما ذكره ابن العماد فى شذراته الذى يقول عنه فيها :

الامام زين الدين ، حجة الاسلام ، أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد بن أحمد الطوسى الشافعى ، أحد الأعلام ، تلمذ لامام الحرمين ، ثم ولاه نظام الملك تدريس مدرسته ببغداد ، وخرج له أصحاب ، وصنف التصانيف مع التصون والذكاء المفرط ، والاستبحار فى العلم •

وبالجملة : ما رأى الرجل مثل نفسه ، توفى فى رابع عشر جمادى الآخرة ، بالطابران ، قصبة بلاد طوس وله خمس وخمسون سنة •

يقول ابن كثير :

تفقه على امام الحرمين ، وبرع فى علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة فى فنون متعددة ، فكان من أذكياء العالم فى كل ما يتكلم فيه ، وساد فى شعبيته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وله أربع وثلاثون سنة ، فحضر عنده رؤس العلماء ، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب ، وابن عقيل ، وهما من رؤس الحنابلة ، فتعجبوا من فصاحته واطلاعه ، وقال ابن الجوزى :

« وكتبوا كلامه فى مصنفاتهم ، ثم انه خرج عن الدنيا بالكلية ، وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة وكان يرتزق من النسخ ، ورحل الى

الشام فأقام بها — بدمشق وبيت المقدس — مدة ، وصنف فى هذه المدة كتابه « احياء علوم الدين » وهو كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف ، وأعمال القـلوب .

ووقع للغزالى أمور تقتضى علو شأنه من ملاقات الأئمة ، ومجاراة الخصوم اللد ، ومناظرة الفحول ، ومناطحة الكبار ، فأقبل عليه نظام الملك وحل منه محلا عظيما ، فعظمت منزلته وطار اسمه فى الآفاق ، وندب للتدريس بنظامية بغداد سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، فقدمها فى تجمل كبير ، وتلقاه الناس ، ونفذت كلمته وعظمت حشمته ، حتى غلبت على حشمة الأمراء والوزراء ، وضرب به المثل ، وشدت اليه الرحال ، الى أن شرفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفضها وأطرحها ، وأقبل على العبادة والسياحة ، فخرج الى الحجاز فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، فحج ورجع الى دمشق ، واستوطنها عشر سنين بمنارة الجامع ، وصنف فيها كتبا ثم صار الى القدس والاسكندرية ثم عاد الى وطنه بطوس ، مقبلا على التصنيف والعبادة وملازمة التلاوة ، ونشر العلم وعدم مخالطة الناس . ثم ان الوزير فخر الدين نظام الملك حضر اليه ، وخطبه الى نظامية نيسابور ، وألح كل الالحاح ، فأجاب الى ذلك ، وأقام عليه مدة ثم تركه ، وعاد الى وطنه على ما كان عليه ، وابتنى الى جواره خانقاه للصـوفية ، ومدرسة للمشتغلين ، ولزم الانقطاع ، ووظف أوقاته على الوظائف الخير ، بحيث لا يمضى لحظة منها الا فى طاعة من التلاوة والتدريس والنظر فى الأحاديث ، خصوصا البخارى ، وادامة الصيام والتهجد ومجالسة أهل القلوب الى أن انتقل الى رحمة الله تعالى .

وهو قطب الوجود ، والبركة الشاملة لكل موجود ، وروح خلاصة أهل الايمان والطريق الموصلة الى رضا الرحمن ، فيقرب الى الله تعالى به كل صديق ولا يبغضه الا حاقد أو زنديق .

تصانيفه : يقول ابن قاضى شهبة :

« ومن تصانيفه : البسيط ، وهو كالمختصر للنهاية ، والوسيط ملخص منه ، وزاد فيه أمورا من الابانة للنورانى ومنها : أخذ هذا الترتيب الحسن الواقع فى كتبه ، وتعليق القـاضى حسين والمهذب واستمداده منه كثير كما نبه عليه فى المطلب .

ومن تصانيفه أيضا : الوجيز ، والخلاصة ، ومجلد دون التنبيه ، وكتاب الفتاوى له ، مشتمل على مائة وتسعين مسئلة ، وهى غير مرتبة ، وله فتاوى أخرى ، غير مشهورة أقل من تلك . وكتاب الاحياء : وهو الأعجوبة ، العظيم الشأن ، « وبداية الهداية » فى التصوف « والمستصفى » فى أصول الفقة « والجام العوام » فى علم الكلام ، والرد على الباطنية ، ومقاصد الفلاسفة ، وتهافت الفلاسفة ، وجواهر القرآن ، وشرح الاسماء الحسنى ، ومشكاة الأنوار ، والمنقذ من الضلال ، وغير ذلك .

وذكر الشيخ علاء الدين على بن الصيرفى ، فى كتابه « زاد السالكين » أن القاضى أبا بكر بن العربى قال :

« رأيت الامام الغزالى فى البرية وبيده عكازه ، وعليه مرقعة ، وعلى عاتقه ركوة ، وقد كنت رأيته ببغداد ، يحضر مجلس درسه ، نحو أربعمائة عمامة ، من أكابر الناس وأفاضلهم ، يأخذون عنه العلم ، قال : فدنوت منه ، وسلمت عليه وقلت له : يا امام ، أليس تدريس العلم ببغداد خير من هذا ؟ قال : فنظر الى شزرا وقال :

لما طلع بدر السعادة فى فلك الارادة ، وجنحت شمس الوصول فى مغارب الأصول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت الى تصحيح أول منزل

ونادت بى الأشواق مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجد لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

والله سبحانه وتعالى نسأل ، واليه نضرع ، أن ينفعنا بعلمه ، وأن يجزيه عما قدم للاسلام والمسلمين من تراث اسلامى أصيل ، خير ما يجزى به الصالحين المخلصين من عباده ، والأولياء المقربين من أهل وده ، ووداده ، انه حسبنا ومولانا ، عليه توكلنا واليه المصير .

موسى محمد على

الخميس : ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٣٩٧ هـ
١٢ مايو سنة ١٩٧٧ م

القاهرة



تحقيق وتعليق
موسى محمد علي



بسم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمد لله[2] الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا[3] ، وجعل البيت العتيق[4] مثابة للناس وأمنا ، وأكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا ، وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنا ، والصلاة على محمد نبى الرحمة ، وسيد الأمة[5] ، وعلى آله وصحبه قادة الحق ، وسادة الخلق[6] ، وسلم تسليما كثيرا •

---

(١) أى بكل اسم للذات الأقدس لا لغيره ملتبسا للتبرك ابتدىء ، والله علم للذات الجامعة لسائر ، صفات الكمال وما بعده صفتان له ، أى الموصوف بكمال الاحسان بجميع النعم أصولها وفروعها جلائلها ودقائقها ، أو بارادة ذلك فرفعهما صفة فعل وذات وأصلهما واحد لكونهما من الرحمة •

(٢) لما كان المقام هنا مقام تعظيم ، واللائق به التصريح لم يكتف بالتسمية وقال : « الحمد لله » لأن من اقتصر على التسمية لا يسمى حامدا •

(٣) منيعا لمن احتمى به عن نكاية الأعداء الظاهرة والباطنة ، وفيه تلميح بالحديث الذى ورد من طريق أهل البيت : « لا اله الا الله حصنى ، فمن دخل حصنى أمن من عذابى » •

(٤) وهو الكعبة ، سمى عتيقا لشرفه ، أو لكونه قديما ، أو لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار •

وقال مجاهد : « لأنه لم يملك قط » ، وقال ابن السائب : « لأنه أعتق من الغرق زمن الطوفان » •

(٥) بالسيادة المطلقة على الكل من الأزل ، والأمة بالضم كل جماعة يجمعها أمر ، دين ، أو زمن ، أو مكان واحد ، وسواء كان الأمر الجامع تسخيرا ، أو اختيارا ، أو هما من جملة أسمائه الشريفة صلى الله عليه وسلم •

(٦) يعنى رؤسائهم بسبب قربهم منه صلى الله عليه وسلم ، ومشاهدتهم له •

أما بعد : فان الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه (١) ، عبادة العمر (٢) ، وختام الأمر ، وتمام الاسلام ، وكمال الدين (٣) ، فيه أنزل الله (٤) عز وجل قوله :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى رضيت لكم الاسلام دينا » (٥) .

وفيه قال صلى الله عليه وسلم :

« من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا »(٦).

فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ، ويساوى تاركها اليهود والنصارى (٧) فى الضلال (٨) ، وأجدر بها أن تصرف العناية (٩) الى شرحها ، وتفصيل أركانها وسننها ، وآدابها وفضائلها وأسرارها .

---

(١) التى بنى عليها كما فى حديث ابن عمر فى الصحيحين : « بنى الاسلام على خمس » .

(٢) اذ وجوبه على المكلف مرة واحدة ، بخلاف غيره من باقى الأركان .

(٣) ما انتهى به الى غاية ليس وراءها مزيد من كل وجه .

(٤) والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة يوم الجمعة فى حجة الوداع .

(٥) الآية رقم ٣ من سورة المائدة .

(٦) والمقصود : من مات ولم يحج مع امكانه أو مات عن عدم الامكان بعد وجوده كان عاصيا لله تعالى من حين أمكنه الى حين موته ولم يكن كامل الاسلام ، لأن الله سبحانه أكمل الاسلام بالحج ، واليه الاشارة من باب التغليظ والزجر بقوله : « فليمت ان شاء يهوديا ، وان شاء نصرانيا »

والحديث رواه ابن عدى من حديث أبى هريرة والترمذى نحوه وقال فى اسناده مقال .

ورواه أيضا البيهقى والدارمى عن أبى الدرداء ، وأخرج الترمذى عن على مرفوعا وموقوفا ولفظه :

« من ملك زادا ، وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا، وذلك أن الله تعالى يقول فى كتابه : **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين »** .

(٧) وفى نسخة أخرى : اليهودى والنصرانى .

(٨) أى الغواية والخسران .

(٩) أى الاهتمام ، وفى نسخة أخرى : « وأجدر بنا أن نصرف العناية » .

وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق ، وجمل أركانها ، وشرائط وجوبها •

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر الى الرجوع •

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة (١) •

فلنبدأ بالباب الأول وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى فضائل الحج وفضيلة البيت ، ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى ، وشد الرحال الى المساجد (٢) •

---

(١) وفى نسخة أخرى : « الى المشاهد العظام »

(٢) وهى التى تنبغى مراعاتها لأهل القلوب •

فضـــيلة الحج(1)

قال الله عـز وجـل :

« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق »(2) ٠

وقال قتادة : لمـــا أمر الله عز وجل ابراهيم صلى الله عليه وسلم ٠

وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى(3) ٠

أن يؤذن فى الناس بالحج ، نادى :

---

(1) المشهور عند العلماء : أن العبادات ثلاثة أنواع : بدنية محضة ، وهى الصلاة والصوم ، ومالية محضة وهى الزكاة ، ومركبة منهما وهى الحج ، وقدم بعض العلماء الصوم على الزكاة نظرا الى أن كلا منهما عبادة بدنية ، وأخرى أكثرهم عنها اقتداء بالكتاب والسنة ، واتفق الكل على تأخير الحج عن الثلاث والأفضلية فيهن على الترتيب الذى ذكره أكثر العلماء ، فالصلاة أفضل الأعمال بعد الايمان ، ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ٠

ومن فضيلة الحج أن قوله تعالى : **« ولله على الناس حج البيت ٠٠ »** الآية ، فيه أنواع من التأكيد منها قوله : **« ولله على الناس »** يعنى حق واجب لله على رقاب الناس ، لأن على للالزام ٠

ومنها أنه ذكر الناس ، ثم أبدل منه من استطاع ، وفيه ضربا تأكيد :

أحدهما : أن الابدال تنبيه للمراد وتكرير له ، والثانى أن الايضاح بعد الابهام ، والتفصيل بعد الاجمال ، ايراد له فى صورتين مختلفتين ٠

ومنها قوله : **« ومن كفر »** مكان من لم يحج تغليظا على تارك الحج ٠

ومنها ذكر الاستغناء وذا دليل السخط والخذلان ٠

ومنها قوله : **« عن العالمين »** ، ولم يقل : **« عنه »** ، لأنه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط ٠

(2) الآية رقم ٢٧ من سورة الحج ، والخطاب فى الآية لابراهيم عليه السـلام ٠

وعن ابن عباس فى قوله : **« رجالا »** أى مشاة ، و **« من كل فج عميق »** أى طريق بعيد ٠

(3) ما بين القوسين لا يوجد فى الأصل ، وهو فى نسخة أخرى ٠

يأيها الناس ان الله عز وجل بنى بيتا فحجوه » (١) •

وقال تعالى : **« ليشهدوا منافع لهم »** (٢) •

قيل : التجارة فى الموسم ، والأجر فى الآخرة •

ولما سمع بعض السلف هذا قال : غفر لهم ورب الكعبة •

وقيل فى تفسير قوله عز وجل : **« لأقعدن لهم صراطك المستقيم »** أى طريق مكة يقعد الشيطان عليه ليمنع الناس منها •

وقال صلى الله عليه وسلم :

« من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خـرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » (٣) •

---

(١) فأسمع الله نداءه كل من يريد الله عز وجل أن يحج من الذرية الى يوم القيامة ، ويشهد له ما أخرجه ابن المنذر ، وابن أبى حاتم والحاكم وصححه والبيهقى فى السنن عن ابن عباس قال :

« لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال : رب قد فرغت • فقال : أذن فى الناس بالحج قال : رب وما يبلغ صوتى ؟ قال : أذن وعلى البلاغ ، قال : رب كيف أقول ؟ قال قل : يا أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ، فسمعه من بين السماء والأرض ، ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى البلاد والأرض يلبون » •

(٢) يقول ابن عباس رضى الله عنهما :

« منافع فى الدنيا ومنافع فى الآخرة ، فأما منافع الاخرة فرضوان الله عز وجل ، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن فى ذلك اليوم والذبائح والتجارات » •

(٣) ومعنى الحديث : أن من حج ولم يفحش فى القول ، ولم يخرج عن حد الاستقامة بفعل معصية ، أو جدال ، أو مراء ، أو ملاحاه ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، والخروج بذلك من الذنوب يشمل الكبائر والتبعات عند بعض العلماء •

ويقول الطبرى : هو محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب وعجـز عن وفائهـا •

وقال الترمذى : هو مخصوص بالمعاصى المتعلقـة بحق الله لا العباد ، ولا يسقط الحق نفسه ، بل من عليه صلاة يسقط عنه ثم تأخيرها لأنفسـها فلو أخرها بعد تجدد آخر أثم •

والحديث أخرجه البخارى ومسلم ، وأحمد ، والنسائى ، وابن ماجه ، والطبرانى ، والدار قطنى •

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم :

« ما رئى الشيطان فى يوم أصغر ولا أدحر و لاأحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة ، وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة ، وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام »[١] •

اذ يقال : « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة » •

وقد أسنده جعفر بن محمد[٢] الى رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] •

وذكر بعض المكاشفين[٤] من المقربين أن ابليس لعنة الله عليه ظهر له صورة شخص بعرفة ، فاذا هو ناحل الجسم ، مصفر اللون [٥] ، باكى العين ، مقصوف الظهر •

فقال له : ما الذى أبكى عينك ؟

قال : خروج الحاج اليه[٦] بلا تجارة ، أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزننى ذلك •

قال : فما الذى أنحل جسمك ؟

قال : صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل[٧] ، ولو كانت فى سبيلى كان أحب الى •

---

(١) رواه مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلا •

(٢) هو جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه •

(٣) أى من طريق آبائه هكذا نقله صاحب القوت ، وقد رفعه جعفى ابن محمد فأسنده ، وقال العراقى : لم أجد له أصلا •

(٤) أى من الذين كوشف لهم عن حضرة الحق تعالى •

(٥) وفى نسخة أخرى : شاحب اللون •

(٦) أى خروج الحاج الى بيت الله الحرام بلا غرض تجارى دنيوى ، بل يكون خروجه طاعة لله واستجابة لدعوته سبحانه وتعالى •

(٧) أى همهمتهن فى الحج أو الغزو ، وكل منهما فى سبيل الله تعالى •

قال : فما الذى غير لونك ؟

قال : تعاون الجماعة على الطاعة (١) ، ولو تعاونوا على المعصية كان أحب الى •

قال : فما الذى قصف ظهرك (٢) ؟

قال : قول العبد أسألك حسن الخاتمة ، أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله ؟ أخاف أن يكون قد فطن (٣) •

وقال صلى الله عليه وسلم :

« من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات (٤) أجرى له أجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة (٥) •

ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له أدخل الجنـــــة » (٦) •

---

(١) وفى نسخة : « تعاون الناس » وفى نسخة أخرى : « تعاون جماعة النـــاس » •

(٢) وفى نسخة أخرى : قصم ظهرك ، وهو بمعناه ، أى قطع •

(٣) يعنى علم بذلك •

(٤) مات فى الطريق •

(٥) أخرجه البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة بسند ضعيف •

(٦) رواه الدار قطنى والبيهقى من حديث عائشة نحوه بسند ضعيف ، ورواه أيضا العقيلى وابن عدى وأبو نعيم فى الحلية ولفظهم :
« من مات فى هذا الوجه حاجا أو معتمرا لم يعرض ولم يحاسب ، وقيل له : ادخل الجنة » •
ورواه البيهقى أيضا من حديثها بلفظ :
« من مات فى طريق مكة لم يعرضه الله يوم القيامة ولم يحاسبه » •
وكذا رواه الحارث بن أبى أسامة ، وابن عدى عن جابر •
وروى الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى السنن وضعفه من حديث سلمان بلفظ :
« من مات فى أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين » •

وقال صلى الله عليه وسلم :

« حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها ، وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره ، ان سألوه أعطاهم ، وان استغفروه غفر لهم ، وان دعوا استجيب لهم ، وان شفعوا شفعوا » (٢) .

وفى حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام :

« أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له » (٣) .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة بلفظ : « الحج المبرور » .

وقال النسائى : « الحجة المبرورة » وعند ابن عدى « حجة مبرورة » .
ولفظ البخارى ومسلم :

« العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .

وروى أحمد من حديث جابر والطبرانى فى الكبير من حديث ابن عباس :
« الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة » .

(٢) رواه ابن ماجه من حديث أبى هريرة دون قوله : وزواره ، ودون قوله : ان سألوه أعطاهم ، وان شفعوا شفعوا وله من حديث ابن عمر : وسألوه فأعطاهم ، ورواه ابن حبان .

ولفظ حديث ابن عمر عند البيهقى : « الحجاج والعمار وفد الله ان سألوه أعطوا ، وان دعوا أجابهم ، وان أنفقوا أخلف لهم » .

(٣) أخرج صاحب القوت : « لقى رجل ابن المبارك وقد أفاض من عرفة الى مزدلفة فقال :

« من أعظم الناس جرما يا أبا عبد الرحمن فى هذا الموقف ؟ فقال : من قال : ان الله عز وجل لم يغفر لهؤلاء » . وأخرج الزبيدى فيه حديثا مسندا من طريق أهل البيت وساقه كما للمصنف .

والحديث رواه الخطيب فى المتفق والمفترق ، والديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف .

وروى ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أ نه قال :

ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة : ستون للطائفين ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين » (١) •

وفى الخبر : « استكثروا من الطواف بالبيت فانه من أجل شىء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه » (٢) •

ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة •

وفى الخبر : « من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ، ومن طاف اسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنبه » (٣) •

---

(١) رواه ابن حبان فى الضعفاء ، والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن ، وقال أبو حاتم : حديث منكر •

وعن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس رفعه :

ينزل الله على هذا البيت كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة ستون ، منها للطائفين وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين » •

هكذا أخرجه العز بن فهر وجار الله بن فهر فى مسلسلاتهما •

ورواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة ، وقال البلقينى فى فتاويه المكية : لم أقف له على اسناد صحيح ، وقال التقى الفاسى : لا تقوم به حجة ، ونقل عن الحافظ ابن حجر أنه توقف فيه لكن حسنه المنذرى والعراقى والسخلوى ، واذا اجتمعت طرق هذا الحديث ارتقى الى مرتبة الحسن •

وفى المناسك للمحب الطبرى ، عن ابن عباس مرفوعا :

« ينزل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة ، ستون منها للطائفين بالبيت وأربعون للعاكفين حول البيت وعشرون للناظرين الى البيت » •

(٢) رواه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عمر ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين •

ورواه بهذا اللفظ أيضا الطبرانى فى المعجم الكبير لا يوافق سياق المصنف فى كل من الوجوه كما لا يخفى •

(٣) روى ذلك عن الحسن بن على قال لأصحابه ورفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال العراقى : لم أجده ، وعند الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر :

« من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة » أخرجه الترمذى وحسنه •

ويقال : ان الله عز وجل اذا غفر لعبده ذنبا فى الموقف غفره لكل من أصابه فى ذلك الموقف (١) .

وقال بعض السلف :

« اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة(٢) ، وهو أفضل يوم فى الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع(٣) وكان واقفا اذ نزل قوله عز وجل :

« اليوم أكملت لكم دينكم(٤) وأتممت عليكم نعمتى(٥) ، ورضيت لكم الاسلام دينا »(٦) .

قال أهل الكتاب : لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد ، فقال عمر رضى الله عنه : أشهد لقد أنزلت هذه الآية فى يوم عيدين اثنين : يوم عرفة ، ويوم جمعة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة(٧) .

---

(١) أخرجه أبو طالب المكى فى القوت .

(٢) وقد أسنده رزين بن معاوية العبدرى فى تجريد الصحاح عن طلحة ابن عبيد الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أفضل الأيام يوم عرفة : وافق يوم جمعة وهو أفضل من سبعين حجة » .

(٣) وذلك سنة عشر ، لم يحج بعد نزول فرض الحج غيرها .

(٤) قال البيضاوى : أى بالنصر والاظهار على الأديان كلها ، أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوفيق على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد .

(٥) أى بالهداية والتوفيق أو باكمال الدين ، أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية .

(٦) اخترته لكم دينا بينا بين الأديان وهو الدين عند الله تعالى .

(٧) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، ولفظ البخارى :

حدثنا الحسن بسنده عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أن رجلا من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا معاشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا ؟ قال : أى آية ؟ قال : **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** قال عمر : لقد عرفنا ذلك ، والمكان الذى أنزلت فيه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج »(١) ٠

ويروى أن على بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا ، قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى :

يا ابن موفق حججت عنى ؟ قلت : نعم ٠

قال : ولبيت عنى ؟ قلت : نعم ٠

قال : فانى أكافئك بها يوم القيامة ، آخذ بيدك فى الموقف فأدخلك الجنة ، والخلائق فى كرب الحساب(٢) ٠

وقال مجاهد وغيره من العلماء :

ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل ، وصافحوا ركبان الحمر ، واعتنقوا المشاة اعتناقا(٣) ٠

وقال الحسن : من مات عقيب رمضان ، أو عقيب غزو ، أو عقيب حج ، مات شهيدا(٤) ٠

---

(١) رواه الحاكم من طريق أبى هريرة ، وقال صحيح على شرط مسلم ٠ ويعلق الزبيدى على ذلك فيقول : « وتعقب بأن فيه شريكا القاضى ولم يخرج له مسلم الا فى المتابعات ، وقد أخرجه البيهقى والخطيب كذلك ٠ وفى بعض الروايات قال ذلك ثلاثا ، فيتأكد طلب الاستغفار من الحاج ، ليدخل فى دعائه صلى الله عليه وسلم ، وظاهره : طلب ندب الاستغفار منه فى سائر الأوقات ، لكن فى قول عمر رضى الله عنه : ان غاية طلبه الى عشرين ربيع الأول ٠

وقال الحافظ ابن رجب : فان تأخر وصوله الى وطنه فالى وصوله ٠

(٢) أخرجه صاحب القوت ، وأغفله العراقى ، ولم يذكره أحد من الرواة الثقات ٠

(٣) أخرجه الشافعى فى مسنده ، وأبو ذر الهروى من حديث ابن‌عمر قال : لتصافح ركبان الحاج وتعتنق المشاة ٠

(٤) أخرجه ابن الجوزى عن الحسن البصرى بلفظ المصنف ، الا أنه قال : عقيب عمرة ، أو حجة ، أو غزوة ٠

وقال عمر رضى الله عنه : الحاج مغفور له ولمن يستغفر له فى شهر ذى الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وعشرين من ربيع الأول(١) •

وقد كان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ، وأن يستقبلوا الحاج ، ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ، ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام •

ويروى عن على بن موفق قال :

حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى فى مسجد الخيف ، فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر ، فنادى أحدهما صاحبه :

يا عبد الله ، فقال الآخر : بليك يا عبد الله •

قال أتدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه السنة ؟

قال : لا أدرى • قال : حج بيت ربنا ستمائة ألف ، أفتدرى كم قبل منهم ؟

قال : لا ، قال(٢) : ستة أنفس ، قال : ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى(٣) فانتبهت فزعا ، واغتممت غما شديدا ، وأهمنى أمرى ، فقلت : اذا قبل حج ستة أنفس ، فأين أكون أنا فى ستة أنفس ؟

فلما أفضت من عرفة قمت (٤) عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم ، فحملنى النوم فاذا (١) الشخصان

---

(١) وروى الحافظ ابن رجب أنه اذا تأخر وصوله الى وطنه عن هذه المدة فالى وصوله كما سبق أن ذكرنا • وروى أحمد من حديث ابن عمر مرفوعا : « اذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فانه مغفور له » •

(٢) وفى نسخة أخرى : قال قبل منهم ستة أنفس •

(٣) وفى نسخة أخرى : فغابا على •

(٤) وفى نسخة أخرى : « فلما أفضت من عرفة ، وبت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر ••• » •

(٥) وفى نسخة : فاذا أنا بالشخصين قد نزلا على •

قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما على صاحبه وأعاد الكلام بعينه [١] ، ثم قال : أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل فى هذه الليلة ؟

قال : لا ، قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف .

قال : فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف [٢] .

وعنه [٣] أيضا رضى الله عنه :

قال : حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت :

اللهم انى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته ، قال :

فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله فقال لى :

يا على تسخى على وأنا خلقت السخاء والأسخياء ، وأنا أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين ، وأحق بالجود والكرم من العالمين : وقد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته [٤] .

---

(١) الكلام الذى حصل به المراجعة .

(٢) ويعلق صاحب اتحاف السادة المتقين فيقول :

« ذكر فى هذه القصة ستة ، ولم يذكر السابع ، وهؤلاء هم الأبدال السبعة ، أوتاد الأرض المنظور اليهم كفاحا ثم ينظر الى قلوب الأولياء من وراء قلوبهم فأنوار هؤلاء من نور الجلال ، ونور الأولياء من نورهم وأنصبتهم وعلومهم من أنصبة هؤلاء فلم يذكر السابع وهو قطب الأرض والأبدال كلهم فى ميزانه » .

(٣) أى عن على بن الموفق رحمه الله تعالى .

(٤) أورده صاحب القوت بهذا السياق .

فضيلة البيت ومكة[1] المشرفة

قال صلى الله عليه وسلم :

« ان الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف ، فان نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة ، وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة ، وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها »[2] •

وفى الخبر : « ان الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة ، وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق »[3] •

وكان صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا[4] •

وروى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عليه[5] •

---

(١) ويقال فيها بكة بالموحدة على البدل ، وقيل بالباء البيت ، وبالميم ما حوله ، وقيل بالباء بطن مكة •

(٢) قال العراقى : لم أجد له أصلا •

(٣) أخرجه الترمذى ، وصححه ، والنسائى من حديث ابن عباس : « الحجر الأسود من الجنة » لفظ النسائى ، وباقى الحديث رواه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه وابن حبان والحاكم ، وصححه من حديث ابن عباس أيضا والحاكم من حديث أنس : « الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة » وصحح اسناده ورواه الترمذى وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله ابن عمرو • اهـ

(٤) أخرجه البخارى ومسلم من حديث عمر دون قوله كثيرا ، وللنسائى : أنه كان يقبله كل مرة ثلاثا ان رآه خاليا •

(٥) رواه البزار والحاكم من حديث عمر وصححا اسناده ، وأخرجه الدار قطنى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم سجد على الحجر •

وأخرج الشافعى فى مسنده عنه بلفظ : « قبل الركن وسجد عليه ثلاث مرات » •

وأخرج البيهقى عنه قال : رأيت عمر بن الخطاب قبل وسجد عليه ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هكذا •

وأخرج الشافعى والبيهقى والأزرقى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قبل الحجر ثلاثا وسجد عليه اثر كل تقبيلة •

وجمهور أهل العلم على جوازه ، والحديث حجة على المخالف •

« وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن » (١) •

وقبله عمر رضى الله عنه ثم قال :

انى لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك (٢) •

ثم بكى حتى علا نشيجه ، فالتفت الى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضى الله عنه فقال :

يا أبا الحسن ها هنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات (٣) •

فقال على رضى الله عنه يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع •

قال : وكيف ؟

قال : ان الله تعالى لمـا أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه ذلك الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ، ويشـهد على الكافر بالجحـود (٤) •

---

(١) لم يخرجه العراقى ، وهو فى الصحيحين من حديث أبى الطفيل وجابر ، فلفظ أبى الطفيـل عند مسلم كان يقبـل الركن بمحجن معه ، ويقبل المحجن •

ولفظ جابر عند البخارى : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته يستلم الركن بمحجنه ثم يعطف المحجن ويقبله •

وأخرج أبو داود من حديث ابن عمر أن رجلا سأله عن استلام الحجر ، فقال : كان أحدنا اذا لم يخلص اليه قرعه بعصا •

(٢) أخرجه البخارى ومسلم) صحيحهما من حديث ابن عمر •

(٣) أخرجه الشامى فى مسنده ، وأبو ذر الهروى من حديث ابن عمر قال : استقبل النبى صلى الله عليه وسلم بيده الحجر فاستلمه ، ثم وضع شفتيه عليه طويلا يبكى فالتفت فاذا هو عمر بن الخطاب يبكى فقال يا عمر : ما هذا ؟ قال عمر : « ههنا تسكب العبرات » •

(٤) هذه الزيادة فى هذا الحديث أخرجها الحاكم وقال : ليس من شرط الشيخين •

وقال الزبيدى : « وأخرج الأزرقى هذا الحديث بتلك الزيادة ، ولفظه :

قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام :

اللهم ايمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك (١) •

وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه : أن صوم يوم فيها بمائة ألف يوم ، وصدقة درهم بمائة ألف درهم ، وكذلك كل حسنة بمائة ألف ، ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة ، وثلاث عمر تعدل حجة •

وفى الخبر الصحيح : « عمرة فى رمضان كحجة معى » (٢) •

فقال على : بلى يا أمير المؤمنين ، هو يضر وينفع ، قال : وبم ؟ قال : بكتاب الله عز وجل ، قال : وأين ذلك من كتاب الله عز وجل ؟ قال : الله تعالى : ((**واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا**)) قال : فلما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره فأخرج ذريته من ظهره ، فقررهم أنه الرب وانهم العبيد ، ثم كتب ميثاقهم فى رق وكان هذا الحجر له عينان ولسان ، فقال له : افتح فاك ، قال : فألقمه ذلك الرق وجعله فى هذا الموضع ، فقال : نشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة ، قال :

فقال عمر : أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن » اهـ

ويعلل الطبرى فى مناسكه السبب الذى من أجله قال سيدنا عمر ما قال فيقول : « وانما قال عمر ما قال فى تقبيل الحجر ، والله أعلم ، لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام ، فخشى عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله ، فأراد عمر : أن استلامه لا يقصد به الا تعظيم الله عز وجل ، والوقوف عند أمر نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن ذلك من شعائر الحج التى أمر الله بتعظيمها ، وأن استلامه مخالف لفعل الجاهلية فى عبادتهم الأصنام ، لأنهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم الى الله زلفى ، فنبه عمر على مخالفة هذا الاعتقاد ، وأنه لا ينبغى أن يعبد الا من يملك الضر والنفع وهو الله جل وعلا » •

(١) يعنون هذا الكتاب والعهد •

(٢) أخرجه البخارى ومسلم من حديث عطاء سمعت ابن عباس يحدثنا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الأنصار سماها ابن عباس فنسيت اسمها : ما منعك أن تحجى معنا ؟ قالت : لم يكن لنا الا ناضحان ، فحج أبو ولدها وابنها على ناضح ، وترك لنا ناضحا ننضح عليه ، قال: فاذا جاء رمضان فاعتمرى ، فان عمرة فيه تعدل حجة •

وقال البخارى : حجة أو نحوا معا • قال وخرج أيضا هذا الحديث من طريق جابر تعليقا ، ولمسلم من طريق أخرى : فعمرة فى رمضان تقضى حجة أو حجة ، وسمى المرأة : أم سنان ، وقد أخرج البخارى هذا الطريق وقال : أم سنان الأنصارية ، والحديث أخرجه الحاكم أيضا ، وأخرجه كذلك بتلك الزيادة الطبرانى ، والبزار ، وسمويه فى الفوائد عن أنس •

وقال صلى الله عليه وسلم :

« أنا أول من تنشق عنه الأرض ، ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم آتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين » (١) .

وفى الخبر : « ان آدم صلى الله عليه وسلم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام » (٢) .

وجاء فى الأثر : ان الله عز وجل ينظر فى كل ليلة الى أهل الأرض فأول من ينظر اليه أهل الحرم ، وأول من ينظر اليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام ، فمن رآه طائفا غفر له ، ومن رآه مصليا غفر له ، ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له (٣) .

وكوشف بعض الأولياء رضى الله عنهم ، قال :

---

(١) رواه الترمذى وحسنه ، وابن حبان من حديث ابن عمر .

(٢) رواه المفضل الجندى ، ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس وقال : لا يصح ، قاله العراقى فى المغنى والحديث رواه الأزرقى فى تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس ، ورواه الشافعى مرفوعا على محمد ابن كعب القرظى . ولفظ حديث ابن عباس على ما نقله الطبرى فى مناسكه قال : « حج آدم عليه السلام فطاف بالبيت سبعا ، فلقيته الملائكة فى الطواف ، فقالوا : بر حجك يا آدم ، انا حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام ، قال : فما كنتم تقولون فى الطواف ؟ قال : كنا نقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر .

قال آدم : فزيدوا فيها : لا حول ولا قوة الا بالله ، فزادت الملائكة فيها ذلك .

فقال لهم ابراهيم عليه السلام : ماذا تقولون فى طوافكم ؟ قالوا : كنا نقول قبل أبيك آدم عليه السلام :

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، فاعلمناه ذلك فقال : زيدوا فيها : ولا حول ولا قوة الا بالله .

فقال ابراهيم عليه السلام : زيدوا فيها : العلى العظيم ، ففعلت الملائكة » .

(٣) أورد صاحب القوت ، ولم يذكره أحد من الثقات .

انى رأيت الثغور (١) كلها تسجد لعبادان (٢) ، ورأيت عبادان ساجدة لجـــدة .

ويقال : لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال (٣) .

ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من اوتاد (٤) ، واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا ، وهذا اذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ، ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف .

ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ، ثم يرجع الناس الى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية .

---

(١) جمع ثغر ، وهو من البلاد الموضع الذى يخاف منه هجوم العدو ، فهو كالثلمة فى الحائط يخاف هجوم السارق منها .

(٢) عبادان : بلد على بحر فارس بقرب البصرة شرقا ، يميل الى الجنوب . وقال الصغانى : هو جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين فى بحر فارس .

(٣) جمع بدل محركة ، كانهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء خلفاؤهم ، وهم عنـــد القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون ، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بلد اقليم فيه ولايته :

منهم واحد على قدم الخليل ، وله الأقليم الاول ، والثانى : على قدم الكليم ، والثالث : على قدم هارون ، والرابع : على قدم ادريس ، والخامس : على قدم يوسف الصديق ، والسادس : على قدم عيسى ، والسابع : على قدم آدم عليهم السلام ، على ترتيب الأقاليم ، وهم عارفون بما أودع الله فى الكواكب السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها ، ولهم فى الاسماء أسماء الصفاء ، وكل واحد بحسب ما يعطيه حقيقة ذلك الاسم الالهى من الشمول والاحاطة ومنه يكون تلقيه .

(٤) وهم أربعة فى كل زمن لا يزيدون ولا ينقصون ، أحدهم : يحفظ الله به المشرق وولايته فيه ، والآخر المغرب ، والاخر الجنوب ، والاخر الشمال ، ويعبر عنهم بالجبال ، فحكمهم فى العالم حكم الجبال فى الأرض . انظر اتحاف السادة المتقين ج ٤ ص ٢٧٩ .

ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله (١) ، والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتوقع ولادتها .

وفى الخبر : « استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع ، فقد هدم مرتين ويرفع فى الثالثة » (٢) .

وروى عن على رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال الله تعالى :

« اذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على اثره » (٣) .

---

(١) والأحاديث الواردة فى نزول عيسى عليه السلام كثيرة نذكر منها ما أخرجه الامام أحمد فى مسنده أن عائشة رضى الله عنها قالت :
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى ، قال : ما يبكك ؟ قلت يا رسول الله ، ذكرت الدجال ، فبكيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان يخرج الدجال وأنا حيى كفيتكموه ، وان يخرج الدجال بعد فان ربكم عز وجل ليس بأعور ، انه يخرج فى يهودية أصبهان ، حتى يأتى المدينة ، فينزل ناحيتها ، ولها يومئذ سبعة أبواب ، على كل باب منها ملكان ، فيخرج اليه شرار أهلها ، حتى يأتى الشام ، مدينة بفلسطين باب لد ، فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله ، ثم يمكث عيسى عليه السلام فى الأرض أربعين سنة اماما عادلا ، وحكما مقسطا .

(٢) رواه البزار ، وابن حبان ، والحاكم وصححه من حديث ابن عمر ولفظه : « استمتعوا فى هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة » .

(٣) قال صاحب القوت : رويناه عن ابن رافع عن على ، وقال العراقى . ليس له أصل ، وكذلك لم يذكره أحد من الثقات .

فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة :

الأول : خوف التبرم والأنس بالبيت ، فان ذلك ربما يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام ، وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول :

يا أهل اليمن يمنكم ، ويا أهل الشام[١] شامكم ، ويا أهل العراق عراقكم[٢] ، ولذلك هم عمر رضى الله عنه ، بمنع الناس من كثرة الطواف ، وقال خشيت أن يأنس النـــاس بهذا البيت[٣] .

الثانى : تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود ، فان الله تعالى جـــعل البيت مثابة للناس وأمنا ، أى يثوبون ويعودون اليه مرة بعد أخرى (٤) ولا يقضون منه وطرا .

وقال بعضهم : تكون فى بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر .

وقال بعض السلف :

كم من رجل بخراسان (٥) وهو أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به .

---

(١) وفى نسخة : يا أهل اليمن خذوا يمنكم ، ويا أهل الشام خذوا شامكم ، ويا أهل العراق خذوا عراقكم .

(٢) والمعنى : الحقوا بلادكم ، ولا تجاوروا بمكة ، خوفا أن يتضـــجروا فتسقط هيبة البيت فى الأعين ، وقد حدث وكيع بسنده عن أبى مليكة قال : قال عمر : « لا تقيموا بعد النفر الى ثلاثا » ، وفيه عن عبد الله قال : « مكة ليست بدار اقامة ولا مكث » .

(٣) ومن يأنس بالشىء كثيرا تسقط منه مهابته ، وهذا مشاهد .

(٤) من ثاب اليه اذا رجع .

(٥) اقليم مشهور ببلاد العجم .

ويقال : ان لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل (١) •

الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها ، فان ذلك محظر ؛ وباحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع (٢) •

وروى عن وهيب بن الورد المكى (٣) قال :

« كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول الى الله أشكو ، ثم اليك يا جبرائيل ، ما ألقى من الطائفين حولى من تفكرهم فى الحديث (٤) ولغوهم ولهوهم ، لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفض انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذى قطع منه (٥) •

وقال ابن مسعود رضى الله عنه :

ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية (٦) قبل العمل الا مكة ، وتلا قوله تعالى :

---

(١) نقله أبو طالب المكى فى كتابه قوت القلوب وزاد ما نصه :
وحدثنى شيخ لنا عن أبى على الكرمانى رحمه الله تعالى : شيخنا بمكة وكان من الأبدال الا أنى ما سمعت منه هذه الحكاية قال سمعته يقول : رأيت الكعبة ذات ليلة تطوف بشخص من المؤمنين •

(٢) لشرف الموضع ورفعة قدره عند الله تعالى •

(٣) وهيب بن الورد المكى ، الزاهد ثقة ، روى له مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى •

(٤) أى فى الحديث الدنيوى وانبساطهم فيه ، ولغوهم فى الكلام الباطل •

(٥) أخرجه الأزرقى فى تاريخ مكة ، وأخرجه أبو بكر بن سدى فى مسالة الطائفين بلفظ :
اليك يا جبريل : أشكو الى الله ، ثم اليك ما يفعل هؤلاء الطائفون حولى من تفكههم فى الحديث ولغطهم وسهوهم •
قال وهيب : فاولت أن البيت شكا الى جبريل •
وأخرج أبو بكر الآجرى فى مسالته ، وابن الجوزى فى مثير العزم عن على ابن الموفق يخبر عن نفسه أو عن غيره ، أنه رقد فى الحجر فسمع البيت يقول : « لئن لم ينته الطائفون حولى عن معالى الله لأصرخن صرخة أرجع الى المكان الذى جئت منه » • وقد علم من هذه السياقات أن الذى أورده المصنف تبعا لصاحب القوت هو مركب من كلاب وهيب وابن الموفق •

(٦) وفى نسخة أخرى : بالهمة •

« ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم »[1]

آى أنه على مجرد الارادة[2] ، ويقال ان السيآت تضاعف بها كما تضاعف الحسنات[3] .

وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول :

الاحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم[4] . وقيل الكذب[5] أيضا .

وقال ابن عباس : لأن أذنب سبعين ذنبا بركية أحب الى من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة .

وركية منزل بين مكة والطائف ، ونخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى أنه لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة [6] ، وبعضهم أقام شهرا ، وما وضع جنبه على الأرض .

---

(١) الآية : ٢٥ من سورة الحج .

(٢) يعنى انه علق العذاب بالارادة دون الفعل .

(٣) هذا القول نقل عن ابن عباس ونقله ابن الجوزى عن مجاهد .

(٤) وهو حبس الطعام ارادة الغلاء ، والاسم الحكرة بالضم ، فاخرج ابو داود من حديث يعلى بن امية مرفوعا : « احتكار الطعام بمكة الحاد بها » ، ونقل الطبرى عن اهل العلم : الالحاد فى الحرم القتل والمعاصى .

(٥) اى الكذب من الالحاد ، روى عن ابن عمر انه اتى ابن الزبير وهو جالس فى الحجر فقال يا ابن الزبير :

اياك والالحاد فى حرم الله ، فانى أشهد : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحلها رجل من قريش وفى رواية : انه سيلحد فيه رجل من قريش لو وزنت ذنوبه ذنوب الثقلين لوزنتها ، فانظر ان لا تكون . اخرجه الامام احمد .

(٦) كان الورعون من السلف منهم عبد الله بن عمر ، وعمر بن عبد العزيز ، وغيرهما ، يضرب أحدهم فسطاطين ، فسطاطا فى الحرم ، وفسطاطا فى الحل ، فاذا أراد ان يصلى او يعمل شيئا من الطاعات دخل فسطاط الحرم ليدرك فضل المسجد الحرام ، لان المسجد الحرام عندهم انما هو الحرم كله . واذا أراد ان ياكل او يكلم اهله ، أو يتغوط خرج الى فسطاط الحل ، تعظيما لشعائر الله تعالى وتنزيها لحرمه .

وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة (١) •

ولا تظنن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعه ، لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع •

فمعنى قولنا : ان ترك المقام به أفضل ، أى بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم ، أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهـات •

وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل الكعبة وقال :

« انك لخير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى الى ، ولولا أنى أخرجت منك لما خرجت » (٢) ؟

وكيف لا والنظر الى البيت عبادة ، والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه (٣) ؟

(١) وكان ابن عباس يقول :
« البيوت ، بيوت مكة حرام ، ولا تقوم الساعة حتى يستحل الناس اثنين ، اتيان النساء فى أدبارهن ، وأجور بيوت مكة » •
(٢) رواه الترمذى ، وصححه النسائى فى الكبرى ، وابن ماجه ، وابن حبان ، من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء ، وأخرجه سعيد ابن منصور فى سننه ، وقال الطبرى فى مناسكه : وذكره رزين عن الموطا من حديث أبى سلمة عن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم اره فى موطا يحيى بن يحيى ، وأخرجه أحمد ، وقال : وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة •
(٣) وهذا قد روى مرفوعا من حديث عائشة . أخرجه ابو الشيخ الأصبهانى بلفظ :
« النظر الى الكعبة عبادة » •
وهو فى مصنف ابن أبى شيبة بلفظ المصنف من طرق كثيرة •

« فضيلة المدينة[1] الشريفة على سائر البلاد »

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالأعمال فيها أيضا مضاعفة ، قال صلى الله عليه وسلم :

« صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحــرام »[2] .

وكذلك كل عمل بالمدينة بألف ، وبعد مدينته الأرض المقدسة ، فان الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها الا المسجد الحرام ، وكذلك سائر الأعمال[3] .

وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة ، وصـــلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة ، وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » [4] .

---

(١) وهى أشهر أسمائها ، ومن أســمائها : سيدة البلدان ، الشافية ، طابة ، طيبة ، العاصمة ، العذراء ، الفراء ، قبة الاسلام ، قلب الايمان ، المؤمنة ، المبـاركة ، المجبورة ، المحبة المحبوبة ، المحروسة المحفـوظة ، المختارة ، مدخل صدق ، المرحومة ، مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مهاجر رسول الله ، الموطن ، يثرب ، يندر ، وعد ذلك مما يطول ذكره وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى .

(٢) الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة ، ورواه مسلم من حديث ابن عمر ، ورواه أيضا أحمد ، والترمذى والنسائى وابن ماجه ، من حديث أبى هريرة ، ورواه أحمد أيضا ، والنسائى وابن ماجه من حديث ابن عمر ، ورواه مسلم أيضا من حديث ميمونة ، وأحمد أيضا من حديث جبير بن مطعم وسعد وأرقم .

(٣) كل عمل يضاعف بخمسمائة .

(٤) الحديث غريب بجملته هكذا ، ولابن ماجه من حـديث ميمونة باسناد جيد .

وأخرجه ابن ماجه من حديث هشام بن عمار حدثنا أبو الخطاب الدمشقى حدثنا رزيق أبو عبد الله الالهانى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

صلاة الرجل فى بيته بصلاة ، وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة وصلاته فى المسجد الذى يجمع فيه بخمسمائة صلاة ، وصلاته فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة » (١) •

وقال صلى الله عليه وسلم :

« من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة » (٢) •

وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية ، الا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم (٣) ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :

« لا تشد (٤) الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » (٥) •

---

(١) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ، وابن عمر وأبى سعيد ، وأخرجه أيضا الترمذى ، وأخرجه مالك نحوا من سياق مسلم •

(٢) معنى الحديث : من استطاع أن يقيم بها حتى يدركه الموت فليقم بها حتى يموت ، فهو تحريض على الاقامة بها ليتأتى للمقيم بها أن يموت بها اطلاقا للمسبب على سببه •

الحديث رواه الترمذى ، وابن ماجه ، من حديث ابن عمر وقال الترمذى حسن صحيح •

ورواه أحمد كذلك بسند رجاله رجال الصحيح خلا عبد الله بن عكرمة ، ولم يتكلم فيه أحد بسوء وابن ابن أبى شيبة فى المصنف . وان حبان والبيهقى ، والطبرانى فى الكبير •

(٣) دل الشرع عليه وللصلاة فى مسجدها فضل كذلك •

(٤) بصيغة المجهول نفى بمعنى النهى ، لكنه أبلغ منه لانه كالواقع بالامتثال لا محالة ، والمراد : لا يسافر لمسجد للصلاة فيه الا لهذه الثلاثة ، لا أنه لا يسافر أصلا الا لها ، والنهى للتنزيه عند الجمهور خلافا لمن خالف • والمقتضى : لشرف هذه المواضع الثلاثة لكونها أبنية الأنبياء ، أو متعبداتهم •

وقيل : لأن الأول اليه الحج والقبلة ، والثانى : أسس على التقوى ، والثالث : قبلة الأمم الماضية •

(٥) رواه أحمد وأبو داود ، والنسائى ، وابن ماجه من حديث أبى هريرة ، ورواه أحمد ، وعبيد بن حميد ، والترمذى ، وابن ماجه من حديث أبى سعيد ، ورواه ابن ماجه أيضا من حديث عبد الله بن عمرو ، ورواه الطبرانى فى الكبير من حديث أبى بصرة الغفارى ، ورواه ابن النجار

وقد ذهب بعض العلماء الي الاستدال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد ، وقبور العلماء والصلحاء ، وما تبين لى أن الأمر كذلك ، بل الزيارة مأمور بها ، قال صلى الله عليه وسلم :

« كنت نهيتكم عنزياره القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا » (١) .

والحديث انما ورد فى المساجد ، وليس فى معناها المشاهد ، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ، ولا بلد الا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر .

وأما المشاهد فلا تتساوى ، بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل ، نعم لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال الى موضع فيه مسجد ، وينتقل اليه بالكلية ان شاء .

ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الأنبياء عليهم السلام : مثل قبر ابراهيم ، وموسى ، ويحيى ، وغيرهم عليهم السلام ، فالمنع من ذلك فى غايه الاحالة ، فاذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء فى معناها ، فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة ، كما أن زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد .

هذا فى الرحلة ، أما المقام فالأولى بالمريد ان يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له خاله فى وطنه ، فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو أقرب الى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعباده ، فهو أفضل المواضع له ، قال صلى الله عليه وسلم :

فى تاريخه من حديث عبادة بن الصامت ، ورواه الباوردى والطبرانى ايضا من حديث أبى الجعد الضمرى ، وعند ابن عساكر فى التاريخ من حديث ابن عمر ، وعند أحمد وأبى يعلى ، وابن خزيمة والطبرانى والضياء من حديث أبى سعيد .

والحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه .

(١) رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب الاسلمى .

« البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده . فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى »(١) .

وفى الخبر : « من بورك له فى شىء فليلزمه »(٢) .

« ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه »(٣) .

وقال أبو نعيم (٤) : رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده ، فقلت الى أين يا أبا عبد الله ؟

قال : الى بلد أملأ فيه جرابى بدرهم .

وفى حكاية أخرى : بلغنى عن قرية فيها رخص أقيم فيها ، قال : فقلت وتفعل هذا يا أبا عبد الله ؟

---

(١) رواه الامام احمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف ، ورواه احمد بلفظ : فحيثما اصبت خيرا فأقم ، رواه من طريق ابي يحيى مولى آل الزبير عن الزبير ، قال الهيثمى : فى سنده من لم اعرفه وتبعه السخاوى وغيره .

ومعنى الحديث فى قوله تعالى : « يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون » .

وجرى الى ما ذهب اليه المصنف هنا : الزمخشرى فى الكشاف فقال : معنى الآية : « انه اذا لم يتسهل له العبادة فى بلد هو فيه ، ولم يتمش أمر دينه كما يحب فليهاجر لبلد آخر يقدر أنه فيه أسلم قلبا ، واصح دينا ، وأكثر عبادة واحسن خشوعا

قال : وقد جربنا فلم نجد أعون على ذلك من مكة » .

(٢) رواه ابن ماجة بسند حسن من حديث أنس ، واخرجه من طريق الديلمى وغيره ، ورواه البيهقى كذلك ، لكن فى سنده محمد بن عبد الله الانصارى وهو ضعيف عن فروة بن يونس ، وقد ضعفه الأزدى عن هلال ابن جبير ، وفيه جهالة ، وفى بعض روايات البيهقى : « من رزقه الله رزقا فى شىء فليلزمه » .

(٣) رواه ابن ماجه من حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ : « اذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له » .

(٤) هو الفضل بن دكين مولى آل طلحة ، روى عنه البخارى بلا واسطة ، والباقون بالواسطة .

فقال : نعم اذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فانه أسلم لدينك وأقل لهمك •

وكان يقول : هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين ؟ هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن (١) •

ويحكى عنه أنه قال : والله ما أدرى أى البلاد أسكن ؟

فقيل له : خراسان •

فقال : مذاهب مختلفة وآراء فاسدة ؟

قيل : فالشام ، قال : يشار اليك بالأصابع ، أراد الشهرة •

قيل : فالعراق • قال : بلد الجبابرة •

قيل : مكة ، قال : مكة تذيب الكيس (٢) والبدن (٣) •

وقال له رجل غريب : عزمت على المجاورة بمكة فأوصنى ؟

قال : أوصيك بثلاث : لا تصلين فى الصف الأول ، ولا تصحبن قرشيا ، ولا تظهرن صدقة •

وانما كره الصف الأول لأنه يشتهر فيفتقد اذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع (٤) •

---

(١) وقد كان الفقراء والمريدون يقصدون الأمصار للقاء العلماء والصالحين للنظر اليهم ، وللتبرك والتأدب بهم ، وكان العلماء ينتقلون فى البلاد ليعلموا ويردوا الخلق الى الله تعالى ويعرفوا الطريق اليه ، فاذا فقد العالمون وعدم المريدون ، فالزم موضعا ترى فيه أدنى سلامة دين وأقرب صلاح قلب ، وأيسر سكون نفس ، ولا تنزعج الى غيره فانك لا تأمن أن تقع فى شر منه وتطلب المكان الأول فلا تقدر عليه •

وقوله : « يفر بدينه من الفتن » هو فى حديث البخارى ، وقد عقد عليه باب الفرار بدينه فى الفتن من الايمان •

(٢) أى لما فيها من الغلاء فى أكثر الأوقات ، لأنها بواد غير ذى زرع •

(٣) أشار بذلك الى المجاهدة فى الطاعة والقيام بواجب العبادة •

(٤) نهاه عن ذلك ، لأن ذلك يذهب الاخلاص ، ويكسب الرياء والشهرة •

الفصل الأول

في شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته

شروط الحج :

أما الشرائط[1] : فشرط صحة الحج اثنان : الوقت ، والاسلام[2] • فيصح حج الصبى ، ويحرم بنفسه ان كان مميزا ، ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ، ويفعل به ما يفعل فى الحج من الطواف والسعى وغـيره[3] •

وأما الوقت : فهو شوال وذو القعدة ، وتسع من ذى الحجة ، الى طلوع الفجر من يوم النحر •

فمن أحرم بالحج فى غير هذه المدة فهى عمرة[4] ، وجميع السنة وقت العمرة ، ولكن من كان معكوفا على النسك أيام منى فلا ينبغى أن يحرم بالعمـرة ، لأنه لا يتمكن من الاشـتغال عقيبه لاشتغاله بأعمال منى[1] •

---

(١) الانسان اما أن يجب عليه الحج ، أو لا يجب ، ومن لا يجب عليه اما أن يجزئه المـأتى به عن حجة الاسلام حتى لا يجب عليه بعد ذلك بحال أو لا يجزئه ، ومن لا يجزئه ، اما أن تصح مباشرته الحج أو لا تصح ، ومن لا تصح مبـاشرته اما أن يصح له الحج أو لا يصـح ، فها هنا أربعة أحكام :

أحدها : مطلق صحة الحج له ، وثانيها : صحته له مباشرة ، وثالثها : وقوعها عن حجة الاسلام ، ورابعها : وجوب حجة الاسلام ، وشروط هـذه الأحكام مختلف ، أشار الى الأول منها بقوله : « فشرط صحة الحج ••• » الخ •

(٢) فلا يصح الحج من الكافر كالصوم والصلاة وغيرهما ،ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز ، فلا يصح مباشرة المجنون ولا الصبى الذى لا يميز كسائر العبادات •

(٣) خلافا لأبى حنيفة فانه لا يجوزه ، ولا تشترط الحرية بل يصح من العبد مباشرة الحج كسائر العبادات •

وفى المبسوط لأصحابنا : الصبى لو أحرم بنفسه وهو يعقل أو أحرم عنه أبوه صار محرما ، وينبغى أنيجرده ويلبسه ازار أو رداء •

(٤) وقال أبو حنيفة ومالك وأحمد : الاحرام بالحج ينعقد فى غير أشهر الحج ، الا أنه مكروه •

(٥) من المبيت والرمى ، قال الامام : « وكان من حق تلك المناسك أن لا تقع الا فى زمان التحلل ، فان نفر النفر الأول فله الاحرام بها لسقوط بقية الرمى عنه » •

وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة :

الاسلام ، والحرية ، والبلوغ ، والعقل ، والوقت[1] .

فان أحرم الصبى ، أو العبد ولكن عتق العبد ، وبلغ الصبى بعرفة أو بمزدلفه ، وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر ، أجزأهما عن حجة الاسلام ، لأن الحج عرفة[2] ، وليس عليهما دم الا شاة ، وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت .

وأما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ : فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام[3] ، فحج الاسلام متقدم ، ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف ، ثم النذر ، ثم النيـابة ، ثم النفل وهذا الترتيب مستحق ، وكذلك يقع وان نوى خلافه .

---

(١) والدليل على اعتبار الحرية والبلوغ ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : أيما صبى حج ثم بلغ فعليه حجة الاسلام ، وأيما عبد حج ثم عتق فعليه حجة الاسلام .

والمعنى فيه : أن الحج عبادة عمر لا تتكرر ، فاعتبر وقوعها فى حال الكمال ، وأما الوقت فهو شرط لكل من الصحة المطلقة وشرط الوقوع .

(٢) وقد روى أحمد والأربعة والحاكم والبيهقى من حديث عبـد الرحمن ابن يعمر : « الحج عرفة ، من جاء قبل طلوع الفجـر من ليلة جمع فقد أدرك الحج .. » .

(٣) وفى نسخة أخرى : « فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام ، فمن عليه حجة الاسلام فحجة الاسلام تتقدم » ومعنى ذلك :
أن من عليه حجة الاسلام ، فليس له أن يحج عن غيره ، وكذا من عليه حجة نذر أو قضاء ، وقال مالك وأبو حنيفة : يجوز التطوع بالحج قبل أداء الفرض ، ويجوز لمن عليه الحج أن يحج عن غيره ، وأظهر ما روى عن أحمد مثل مذهب الشافعى ، ودليل أصحاب الشافعى ما روى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ، قال : من شبرمة ؟ قال : أخ لى أو قريب لى ، قال : أحججت عن نفسك ؟ قال : لا . قال : حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة .

دل الحديث على أنه لابد من تقديم فرض نفسه على ما استؤجر له . وفهم منه أنه لابد من تقديم فرضه على ما يتطوع به والعمرة اذا قيل بوجوبها كالحج فى جميع ذلك .

وأما شروط لزوم الحج فخمسة :

البلوغ ، والاسلام ، والعقل ، والحرية ، والاستطاعة (١) •

ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة (٢) • ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يدن حطابا لزمه الاحرام على قول ، ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج (٣) •

وأما الاستطاعة فنوعان :

أحدهما المباشرة ، وذلك له أسباب :

أما فى نفسه فبالصحة ، وأما فى الطريق فبأن تكون خصبة آمنة (٤) بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر ، وأما فى المـــال فبأن يجد نفقته ذهابه وايابه الى وطنه ، كان له أهل أو لم يكن ، لأن مفارقة الوطن شديدة ، وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة ، وأن يملك ما يقضى به

---

(١) فلا يلزم على الكافر ، والصبى ، والمجنون ، والعبد ، وعادم الاســتطاعة •

(٢) وكون العمرة من فرائض الاسلام على قولين : أصحهما وبه قال أحمد : انها من فرائضه كالحج ، وروى عن ابن عباس : « أنها كقرينتها فى كتاب الله عز وجل : **« وأتموا الحج والعمرة لله »** » •

وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« الحج والعمرة فريضتان » •

والثانى وبه قال أبو حنيفة : انها سنة لمـا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن العمرة أواجبة هى ؟ فقال : لا ، وأن تعتمر خير لك •

(٣) قال النووى :

« ومن قصد مكة لا لنسك استحب أن يحرم بحج أو عمرة ، وفى قول يجب الا أن يتكرر دخوله كحطاب وصياد » •

وفى شرح مسلم :

« واذا دخل مكة أو حرمها لحاجة لا تتكرر من تجارة أو زيارة ونحوهما ففى وجوب الاحرام بحج أو عمرة خلاف للعلماء ، وهما قولان للشافعى ، أصحهما استحبابه ، والثانى وجوبه بشرط أن لا يدخل لقتال ولا خائفا من ظهوره •

(٤) ويشترط الأمن فى ثلاثة أشياء : على النفس ، والعرض ، والمـال •

ديونه (١) ، وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة ان استمسك على الزاملة .

وأما النوع الثانى : فاستطاعة المعضوب(٢) بماله ، وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ، ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع (٣) ، والابن اذا عرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا ، لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد ، وبذل المـال فيه منة على الوالد .

ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير (٤) ، ولكنه فيه على خطر ، فان تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه ، وان مات قبل الحج لقى الله عز وجل عاصيا بترك الحج ، وكان الحج فى تركته يحج عنه(٥) ، وان لم يوص ، كسائر ديونه . وان استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله فى تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقى الله عز وجل ولا حج عليه .

ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى ، قال عمر رضى الله عنه :

---

(١) يشير الى اعتبار كون الزاد فاضلا عن الدين ، أما اذا كان حالا فلانه ناجز والحج على التراخى ، وأما اذا كان مؤجلا فلانه اذا صرف ما معه الى الحج فقد يحل الأجل ولا يجد ما يقضى به الدين وقد تخترمه المنية فتبقى ذمته مرتهنة .

(٢) المعضوب : بالعين المهملة والضاد المعجمة الزمن الذى لا حراك به ، كأن الزمانة عضبته ، أى قطعته ومنعته الحركة .

(٣) والشرط أن يكون المـال فاضلا عن نفقة العيال وكسوتهم يوم الاستئجار ولا يعتبر بعد فراغ الأجير من الحج الى ايابه .

(٤) أى كما يجوز تأخير الصلاة الى آخر الوقت ، فكذا يجوز تأخير الحج الى آخر العمر ، وبه قال محمد بن الحسن ، وقال مالك والامام أحمد ، والمزنى : أنه على الفـور وبه قال أبو يوسف وهو أصح الروايتين عن أبى حنيفة .

(٥) أى استقر الوجوب عليه ولزم الاحجاج من تركته .

« لقد هممت أن أكتب فى الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا » (١) •

وعن سعيد بن جبير ، وابراهيم النخعى ، ومجاهد ، وطاوس :

« لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه » (٢) •

وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه (٣) •

وكان ابن عباس يقول :

من مات ولم يزك (٤) ، ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا ، وقرأ قوله عز وجل :

« رب أرجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت » (٥) قال : الحج •

---

(١) كذا أخرجه صاحب القوت ، وأخرجه سعيد بن منصور والبيهقى من طرق ، فلفظ سعيد :
« لقد هممت أن أبعث رجالا الى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له جدة ، ولم يحج فيضربوا عليه الجزية ما هم مسلمين » •
ولفظ البيهقى : أن عمر قال : ليمت يهوديا أو نصرانيا ، يقولها : ثلاث مرات ، رجل مات ولم يحج وجد لذلك سعة ، وخليت سبيله ، وأخرجه ابو بكر ابن أبى شيبة عن وكيع عن شعبة عن الحكم عن عدى بن عدى عن أبيه قال قال عمر بن الخطاب :
« من مات وهو موسر ولم يحج فليمت أى حال شاء يهوديا أو نصرانيا» •
(٢) روى صاحب القوت، وقال ابو بكر بن أبى شيبة فى مصنفه ، حدثنا وكيع عن شعبة عن أبى المعلى عن سعيد بن جبير قال :
« لو كان لى جار موسر ثم مات ولم يحج لم أصل عليه » •
(٣) وأخرج جرير بن عبد الحميد عن منصور عن ابراهيم قال : قال الاسود لرجل منهم موسر :
« لو مت ولم تحج لم أصل عليك » •
(٤) أى لم يؤد الزكاة التى فرضها الله تعالى عليه •
(٥) الآية : ١٠٠ من سورة المؤمنون •


أركان الحج

وأما الأركان التى لا يصح الحج بدونها فخمسة :

الاحرام(١) ، والطواف(٢) ، والسعى بعده ، والوقوف بعرفة ، والحلق بعده على قول ، وأركان العمرة كذلك الا الوقوف(٣) •

والواجبات المجبورة بالدم ست :

الاحرام من الميقـات ، فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه(٤) شاة ، والرمى فيه الدم قولا واحدا •

وأما الصبر بعرفة الى غروب الشمس ، والمبيت بمزدلفة ، والمبيت بمنى ، وطواف الوداع ، فهذه الأربعة يجـبر تركها بالدم على أحد القولين ، وفى القول الثانى فيها دم على وجه الاستحباب (٥) •

---

(١) لأن كل عبادة لها تحليل فلها احرام •

(٢) والطواف بالبيت وهو طواف الزيارة بعد الوقوف بعرفة ، يقول صاحب القوت :

وطواف الحج ثلاثة : واحد فريضة ان تركه بطل حجه ، وهو طواف الزيارة • وواحد سنة : ان تركه كان عليه دم وحجه تام وهو طواف الوداع • وواحد مستحب ان تركه فلا شىء عليه ، وهو طواف الورود » اهـ •

(٣) الوقوف بعرفة ، وبالوقوف امتاز الحج عن العمرة ، فسمى حجا أكبر والعمرة حجا أصغر ، لأنها لم تعم جميع المناسك •

(٤) أى اذا جاوز الموضع الذى لزمه الاحرام منه غير محرم أثم ، وعليه العود اليه والاحرام منه ، ان لم يكن له عذر ، وان كان له عذر أحرم ومضى على وجهه •

ثم اذا لم يعد فعليه دم ، فان عاد لا يخلو اما أن يعود وينشىء الاحرام منه ، أو يعود اليه بعد ما أحرم ، ففى الحالة الأولى ان عاد قبل أن يبعد عن الميقات بمسافة القصر فلا دم عليه ، لأنه حافظ على الواجب فى تعب تحمله ، وان عاد بعدما دخل مكة لم يسقط عنه الدم لوقوع المحذور ، وهو دخول مكة غير محرم مع كونه على قصد النسك ، وان عاد بعدما بعد عن الميقات بمسافة القصر فوجهان : أظهرهما أنه يسقط ، والثانى لا •

وقال أبو حنيفة : اذا أحرم بعد أن جاوز الميقات وعاد قبل أن يتلبس بنسك ولبى سقط عنه الدم ، وان عاد ولم يلب لم يسقط عنه •

(٥) وقال أصحابنا : اذا ترك شيئا من الواجبات يلزمه دم بتركه ويجزئه الحج ، سواء تركه عمدا أو سهوا ، لكن فى العمد يأثم •

وقال فى البدائع : ان الواجبات كلها ان تركها لعذر لا شىء عليه ، وان

وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة :

الأول الافراد وهو الافضل ، وذلك أن يقدم الحج وحده ، فاذا فرغ خرج الى الحل فأحرم واعتمر ، وأفضل الحل لاحرام العمــرة الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية : وليس على المفرد دم الا أن يتطــوع .

الثانى : القران وهو أن يجمع(١) فيقول : لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ، ويكفيه أعمال الحج ، وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل(٢) ، الا أنه اذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين ، وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط طواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف ، وعلى القارن دم شــاة(٣) ، الا أن يكون مكيا فلا شىء عليه ، لأنه لم يترك ميقــاته اذ ميقاته مكة .

الثالث : التمتع ، وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج (٤) ، ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط :

تركها لغير عذر فعليه دم ، ويستثنى من هذا : الحلق ، وركعتا الطواف فانهما واجبان ولا يجب الدم بتركهما .

وقال أبو حنيفه ، واحمد :

« طواف الوداع واجب وتركه لغير عذر يوجب دما ، وقال مالك : ليس بواجب ولا مسنون ، وانما هو مستحب ولا يجب فيه دم » .

(١) أى يجمع بين الحج والعمرة .

(٢) وقال أبو حنيفة : لا يتحد الفعل ، فيأتى بطوافين وسعيين ، أحدهما للحج ، والآخر للعمرة .

(٣) لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : « أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أزواجه بقرة وكن قارنات » ، ولأن الدم واجب على المتمتع بنص القرآن وأفعال المتمتع أكثر من أفعال القارن ، واذا وجب عليه الدم فلان يجب على القارن أولى » .

(٤) أى بنشىء بالحج من مكة سمى متمتعا لاستمتاعه بمحظورات الاحرام بينهما ، أو تمكنه من الاستمتاع بحصول التحلل .

وعند ابى حنيفة : ان كان قد ساق الهدى لم يتحلل بفراغه من العمرة ، بل يحرم بالحج . فاذا فرغ منه حل منهما جميعا ، وان لم يسق الهدى تحلل عند فراغه من العمرة .

أحدها : أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام . وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة (١) •

الثانى : أن يقدم العمرة على الحج (٢) •

الثالث : أن تكون عمرته فى أشهر الحج (٣)

الرابع : أن لا يرجع الى ميقا تالحج ، ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج •

الخامس : أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد •

فاذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة (٤) ، فان

---

(١) قال الله تعالى : ((**ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام**)) والمعنى : أن الحاضر بمكة ميقاته للحج نفس مكة •

(٢) فلو حج ثم اعتمر فلا دم عليه ، لأن الدم انما يجب اذا زاحم بالعمرة حجة فى وقتها وترك الاحرام بحجة من الميقات •

(٣) فلو أحرم وفرغ من أعمالها قبل أشهر الحج ثم حج لم يلزمه الدم ، لأنه لم يجمع بين الحج والعمرة فى وقت الحج ، فاشبه المفرد لما لم يجمع بينهما لم يلزمه دم •

وقد ذكر الأئمة : أن دم التمتع منوط من جهة المعنى بامرين : أحدهما ربح الميقات كما سبق ، والثانى وقوع العمرة فى أشهر الحج ، وكانوا لا يزحمون الحج بالعمرة فى مظنته ووقت امكانه ويستنكرون ذلك •

(٤) أى أن المتمتع يلزمه دم شاة اذا وجد ، وبه فسر قوله تعالى : ((**فما استيسر من الهدى**)) •

وصفتها صفة شاة الأضحية ويقوم مقامها : السبع من البدنة والبقرة ، ووقت وجوبه الاحرام بالحج ، وبه قال أبو حنيفة لأنه حينئذ يصير متمتعا بالعمرة الى الحج ، وعن مالك أنه لا يجب حتى يرمى جمرة العقبة فيتم الحج . واذا وجب جاز اراقته ولم يتاقت بوقت كسائر دماء الجرانات ، الا أن الأفضل اراقته يوم النحر ،

وقال مالك ، وأبو حنيفة وأحمد : لا يجوز اراقته الا يوم النحر ،

وهل يجوز اراقته قبل الاحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة ، فيه وجهان : أحدهما : لا يجوز ، كما لا يجوز الصوم فى هذه الحالة . وأصحهما الجواز ، لأنه حق مالى تعلق بشيئين وهما الفراغ من العمرة والشروع فى الحج ، فاذا وجد أحدهما جاز اخراجه كالزكاة والكفارة •

لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعه (١) ، وسبعة اذا رجع الى الوطن ، وان لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا ، وبدل دم القران والتمتع سواء والأفضل الافراد ، ثم التمتع ، ثم القران (٢) .

---

(١) ان أحرم قبل يوم النحر باكثر من ثلاثة ايام ، والا وجب صومها متتابعة .

(٢) وقال الرافعي :

« وأما الأفضل فان قول الشافعى رحمه الله لا يختلف فى تاخير القران عن الافراد والتمتع ، لأن افعال النسكين فيهما أكمل منها فى القران .

وقال أبو حنيفة : القران افضل منهما .

مَحْظُورَاتُ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ

وأما محظورات الحج والعمرة فستة :

الأول : اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة ، بل ينبغى أن يلبس ازارا ورداء ونعلين ، فان لم يجد نعلين فمكعبين ، فان لم يجد ازارا فسراويل(١) ولا بأس بالمنطقة(٢) والاستظلال فى المحمل ، ولكن لا ينبغى أن يغطى رأسه فان احرامه فى الرأس(٣) ، وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بمـا يماسه فان احرامها فى وجههـا (٤) ·

الثانى : الطيب ، فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا ، فان تطيب أو لبس فعليه دم شاة (٥) ·

---

(١) لمـا فى الصحيحين من حديث ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عما يلبس المحرم من الثياب فقال :
« لا يلبس القميص ، ولا السراويلات ، ولا العمائم ، ولا البرانس ، ولا الخفاف الا أحد لا يجـد نعلين فليلبس خفين وليقطعهما أسفل من الكعبين » ·

(٢) أى شدها على الوسط ، وكذا الهميان ، لحاجة النفقة ونحوها ، ولقد روى الترخص فيها عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهم ·

(٣) فقد روى الشافعى والبيهقى من حـديث ابراهيم بن أبى حـرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه فى المحرم اذا خر من بعيره ، لا تخمروا راسه فانه يبعث يوم القيامة ملبيا ·

(٤) فان الوجه فى حق المرأة كالرأس فى حق الرجل ، ويعبر عن ذلك بان احرام الرجل فى رأسه ، واحرام المرأة فى وجهها ، والأصل فى ذلك ما روى البخارى من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعا :
« لا تنتقب المرأة ولا تلبس القفازين » ·

(٥) الكلام على هذا الفصل مما تتعلق به الفدية فى ثلاثة أمور :
الطيب ، والاستعمال ، والقصد ،
أما الطيب : فالمعتبر فيه أن يكون معظم الغرض التطيب ، واتخاذ الطيب فيه أو يظهر منه الغرض كالمسك والعود والعنبر والكافور ·
ثم ماله رائحة طيبة من نبات الأرض أنواع : منها ما يطلب للطبيب واتخاذ الطيب منه كالورد ، وان كان يطلب للصبغ والتداوى ، ومنها ما يطلب للاكل والتداوى به غالبا فلا تتعلق به الفدية كالقرنفل ، والسنبل ، وسائر الابازير الطبية ·
ومنها ما يتطيب به ، ولا يتخذ منه الطيب كالنرجس ونحوها ففيه قـــولان ·

الثالث : الحلق (١) والقلم ، وفيهما الفدية أعنى دم شاة • ولا بأس بالكحل (٢) ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر •

الرابع : الجماع : وهو مفسد قبل التحلل الأول ، وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شـياه ، وان كان بعد التحلل الأول لزمه البـدنة ولم يفسد حجه (٣) •

الخامس : مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التى تنقض الطهر مع النساء ، فهو محرم (٤) ، وفيه شاة (٥) ، وكذا فى الاستمناء ، ويحرم النكاح والانكاح ، ولا دم فيه لأنه لا ينعقد (٦) •

---

(١) حلق الشـعر قبل أوان التحلل محظور ، فان الله تعـالى قال : **« ولا تحلقوا رؤسكم •• » الآية •**

واوجب الفدية على المعذور والحلق حيث قال : « فمن كان منكم مريضا او به أذى من رأسه •• » الآية • واذا وجبت الفدية على المعذور فعلى غير المعذور أولى ، ولا فرق بين شعر الرأس والبدن ، اما شعر الرأس فمنصوص عيله ، وأما غيره فالتنظيف والترفه فى ازالته أكثر •

(٢) ما لم يكن فيه طيب ، وعن أبى حنيفة جوازه مطلقا وهو المنقول عن المزنى ، وعن الاملاء أنه يكره مطلقا ، وتوسط متوسطون فقالوا : ان لم يكن فيه زينة لم يكره الاكتحال به ، وان كان فيه زينة فيكره الا لحاجة الرمد ونحوه •

(٣) قال الله تعالى : **« فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » والرفث** فسر بالجماع ، وهو مفسد النسك ، يروى ذلك عن عمر وعلى وابن عباس ، وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ، **واتفق الفقهاء عليـه بعدهم ، وانما يفسد الحج بالجماع •**

(٤) وذلك قبل التحلل الاول ، وفى حلها بعد التحلل الاول خلاف •

(٥) اذا باشر شيئا منها عمدا ، روى عن على وابن عباس ، أنهما أوجبا فى القبلة شاة ، اما أثر على فرواه البيهقى من طـريق جابر الجعفى وهـو ضعيف ، عن أبى جعفر عن على ولم يدركه •

وأما أثر ابن عباس فذكره البيهقى ولم يسنده •

وان كان ناسيا لا يلزمه شىء بلا خلاف •

(٦) أى لا ينعقد نكاح المحرم ولا انكاحه ، ولا نكاح المحرمة •

السادس : قتل صيد البر (١) ، أعنى ما يؤكل أو ما هو متولد من الحلال والحرام ، فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب فى الخلقة ، وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه (٢) .

---

(١) لقوله تعالى : « **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما** » ولا يختص تحريمه بالاحرام بل له سبب آخر وهو كونه فى الحرم ، ولما اشترك السببان فيما يقتضيانه من التحريم والجزاء ، ولذا قال أصحابنا : المراد بجناية الاحرام ما تكون حرمته بسبب الاحرام أو الحرم .

(٢) لقوله تعالى : « **أحل لكم صيد البحر ..** » الآية ، قال الأصحاب : « وصيد البحر هو الذى لا يعيش الا فى البحر أما ما يعيش فى البر والبحر فهو كالبرى » .

الفصل الثاني

في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع

وهى عشر جمل :

الجملة الأولى فى السير من أول الخروج الى الاحرام ، وهى ثمانية :

الأولى فى المـال : فينبغى أن يبدأ بالتوبة[1] ، ورد المظالم[2] ، وقضاء الديون ، واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ، ويرد ما عنده من الودائع[3] ، ويستصحب من المـال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه ، من غير تقتير ، بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد ، والرفق بالضعفاء والفقراء ، ويتصدق بشىء قبل خروجه ، ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف ، أو يكتريها ، فان اكترى فليظهر للمكارى كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه [4] .

الثانية : فى الرفيق : ينبغى أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ، ان نسى ذكره ، وان ذكر أعانه ، وان جبن شجعه ، وان عجز قواه ، وان ضاق صدره صبره [5] .

ويودع رفقاءه المقيمين واخوانه وجيرانه ، فيودعهم ويلتمس أدعيتهم ، فان الله تعالى جاعل فى أدعيتهم خيرا [6] . والسنة فى الوداع أن يقول :

---

(١) التوبة الصادقة الناصحة عما صدر منه من الآثام اجمالا وتفصيلا ان أمكن له التذكر .

(٢) الى أربابها ان أمكنه ذلك .

(٣) المودعة عنده والعوارى ، لتتفرغ ذمته بالعبادة .

(٤) ولو باعطاء شىء زائد على الأجرة تطييبا لخاطره ورفعا للشبهة .

(٥) أخرج أبو داود والبيهقى من حديث عائشة :
« اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ، ان نسى ذكره ، وان ذكر أعانه ، واذا أراد به غير ذلك ، جعل له وزير سوء ، ان نسى لم يذكره ، وان ذكـر لم يعنـه » .

(٦) وفى نسخة أخرى : « جاعل فى أدعيتهم البركة » ويكفيك من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب لما استأذنه فأذن له ، وقال : « لا تنسنا من دعائك يآ أخى » .

« أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »(١) .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد السفر :

« فى حفظ الله وكنفه ، زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت »(٢) .

الثالثة : فى الخروج من الدار : ينبغى اذا هم بالخروج أن يصلى ركعتين أولا ، يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة : **« قل يا أيها الكافرون »** ، وفى الثانية الاخلاص .

فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن اخلاص صاف ونية صادقة ، وقال :

اللهم أنت الصاحب فى السفر ، وأنت(٣) الخليفة فى الأهل والمال والولد والأصحاب ، احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة .

اللهم انا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم انا نسألك أن تطوى لنا الأرض ، وتهون علينا السفر ،

---

(١) رواه أبو داود ، والترمذى ، وصححه النسائى من حديث ابن عمر ، أنه كان يقول للرجل اذا أراد سفرا أدن منى حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا :

« استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » .

ورواه كذلك النسائى فى اليوم والليلة ، والبخارى فى التاريخ ، وأحمد فى المسند ، وقال الترمذى صحيح غريب ، وأخرج أبو داود والحاكم من حديث عبد الله بن يزيد الخطى رفعه .

(٢) وفى رواية أخرى : « أينما توجهت » والحديث رواه الطبرانى فى المعجم الكبير من حديث أنس ، وهو عند الترمذى وحسنه دون قوله : فى حفظ الله وكنفه .

وقال الزبيدى : رواه الطبرانى فى الكبير من حديث قتادة بن هشام الرهاوى أنه لما ودعه النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « جعل الله التقوى زادك ، وغفر لك ذنوبك ووفقك الى الخير حيثما تكون » .

وأخرجه البغوى من حديث أنس ، والترمذى كذلك ، وأخرجه الدرامى والخرائطى فى مكارم الأخلاق والمحاملى فى الدعاء .

(٣) وفى رواية الموطأ للامام مالك : « اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل ... » الخ .

وأن ترزقنا في سفرنا: سلامة البدن والدين والمال ، وتبلغنا حج بيتك ، وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .

اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب .

اللهم اجعلنا واياهم في جوارك ، ولا تسلبنا واياهم نعمتك ، ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك[1] .

الرابعة : اذا حصل على باب الدار قال :

بسم الله توكلت على الله ، لا حول ولا قوة الا بالله[2] .

رب أعوذ بك أن أضل[3] أو أضل ، أو أذل أو أذل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على[4] اللهم اني لم أخرج أشرا [5] ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك .

---

(١) أخرجه الامام أحمد ، وأبو داود ، والنسائى ، من حديث أبى هريرة مرفوعا .

وأخرجه الترمذى والنسائى بلفظ :

كان اذا سافر فركب راحلته قال بأصبعه ومد أصبعه اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم أزو لنا الأرض وهون علينا السفر ، اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنقلب ، اللهم أصحبنا بنصح واقلبنا بسلامة .

وقال الترمذى حديث حسن غريب .

(٢) وفى رواية : « لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » .

وهذا الحديث أخرجه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس رفعه وقال :

« من قال اذا خرج من بيته : بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة الا بالله ، فانه يقال له : حينئذ : هديت ، ووقيت ، وكفيت ، ويتنحى عنه الشيطان » .

(٣) أى أضل بنفسى وهو بفتح الهمزة ، وكسر الضاد المعجمة ، صيغة متكلم معلوم من الضلال ضد الهداية أو أضل بضم الهمزة وفتح الضاد ، أى يضلنى غيرى ، أو هو بكسر الضاد ، بمعنى أكون سببا لضلال غيرى .

(٤) أخرجه النسائى من حديث سليمان بن عبيد الله عن بهز بن أسد ، عن شعبة عن منصور بن المعتمر عن الشعبى عن أم سلمة قالت : ... الحديث .

(٥) أشرا : بالتحريك وهو كفر النعمة .

فاذا مشى قال : اللهم بك انتشرت ، وعليك توكلت ، وبك اعتصمت ، واليك توجهت .

اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى ، فاكفنى ما أهمنى وما لا أهتم به ، وما أنت أعلم به منى ، عز جارك وجل ثناءك ولا اله غيرك .

اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت(١) .

ويدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يدخل عليه .

الخامسة فى الركوب : فاذا ركب الراحلة يقول :

بسم الله ، وبالله ، والله أكبر ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن . سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون .

اللهم انى وجهت وجهى اليك ، وفوضت أمرى كله اليك ، وتوكلت فى جميع أمورى عليك ، أنت حسبى ونعم الوكيل(٢) ، فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال :

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، سبع مرات ، وقال :

---

(١) أخرجه الطبرانى وقال : حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا محمد ابن سعيد ، حدثنا عبد الرحمن المحاربى عن مساور العجلى عن انس قال : لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرا قط الا قال حين ينهض من جلوسه : اللهم بك انتشرت ... الحديث ..

وأخرجه أيضا الامام أحمد فى مسنده ..

(٢) قال الامام مسلم فى صحيحه : حدثنا هرون بن عبد الله ، عن حجاج ابن محمد ، عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أن عليا الأزدى أخبره أن ابن عمر أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر كبر ثلاثا ثم قال : سبحان الذى سخر لنا هذا ... الحديث .

والحديث أخرجه أيضا الطبرانى عن معاذ بن المثنى ، وأخرجه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن أبى الأحوص والدار قطنى فى الافراد عن طريق عبد الله بن سعيد عن يونس بن خباب عن شقيق الأزدى عن على بن ربيعة .

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

اللهم أنت الحامل على الظهر ، وأنت المستعان على الأمور (١) .

السادسة فى النزول : والسنة أن لا ينزل حتى يحمى النهار (٢) ، ويكون أكثر سيره بالليل (٣) ، قال صلى الله عليه وسلم :

« عليكم بالدلجة (٤) فان الأرض تطوى بالليل (٥) ما لا تطوى بالنهار (٦) » .

وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ، ومهما أشرف على المنزل فليقل : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضيين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، ورب البحار وما جرين ، أسألك خير هذا المنزل وخير أهله ، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه ، اصرف عنى شر شرارهم (٧) .

---

(١) وقد جاء فى رواية مسلم والترمذى التكبير ثلاثا عند الاستواء على الراحلة من حديث ابن عمر .

(٢) وذلك لاغتنام السفر فى بكرة النهار .

(٣) خصوصا فى البلاد الحارة كالحجاز واليمن .

(٤) بالضم والفتح سير الليل ، وهو اسم من الادلاج بالتخفيف السير أول الليل أو من الادلاج بالتشديد وهو السير فى الليل كله ، ولعله المراد هنا .

(٥) أى ينزوى بعضها لبعض ويتداخل فيقطع المسافر فيه من المسافة مالا يقطعه نهارا .

(٦) والحديث رواه أبو داود من حديث أنس دون قوله : مالا تطوى بالنهار . وهذه الزيادة ذكرها مالك فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا .

وقال الزبيدى : أسنده ابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث عبد الله ابن سعد الأسلمى . ورواه الحاكم فى الحج والجهاد والبيهقى بدون تلك الزيادة وقال الحاكم على شرطهما — أى البخارى ومسلم — وأقره الذهبى فى موضع ، وقال فى موضع آخر : ان سلم من مسلم بن خالد بن يزيد اليعمرى فجيد ، وأما سند أبى داود فحسن . اهـ

(٧) قال الطبرى فى الدعاء : حدثنا القاسم بن عباد ، حدثنا سويد ابن سعيد ، حدثنا حفص بن ميسره عن موسى بن عتبة ، عن عطاء بن أبى مروان عن أبيه أن كعبا حلف بالله الذى فلق البحر لموسى عليه السلام ،

فاذا نزل المنزل صلى ركعتين (١) فيه ثم قال :

أعوذ بكلمات الله التامة ، التى لا يجوزهن بر ولا فاجر ، من شر ما خلق (٢) .

فاذا جن عليه الليل يقول :

يا أرض ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك ، وشر ما دب عليك ، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود ، وحية وعقرب ، ومن شر ساكن البلد ، ووالد وما ولد :

« وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم » (٣) .

أن صهيبا رضى الله عنه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها :

اللهم رب السموات السبع وما أظللن ... الحديث .

وأخرجه النسائى وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم كلهم من رواية عبد الله بن وهب عن حفص بن ميسره .

وأخرجه ابن السنى من طريق محمد بن أبى السرى عن حفص .

(١) وفى نسخة أخرى : « فاذا نزلت المنزل فصل فيه ركعتين » فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل منزلا الا ودعه بركعتين ثم قال : « أعوذ بكلمات الله التامات ... » الخ .

(٢) عن بسر بن سعيد ، عن سعد بن أبى وقاص ، عن خولة بنت حكيم تقول :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لا يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك » ثم يعلق الزبيدى على هذا الحديث فيقول :

هذا حديث صحيح أخرجه مالك ، بلاغا عن يعقوب ، وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة ومسلم أيضا عن محمد بن رمح .

(٣) الآية ١٣ من سورة الأنعام .

والحديث أخرجه الامام أحمد فى مسنده بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، ثم قال : وهذا حديث حسن ، وأخرجه أبو داود ، والنسائى فى الكبرى جميعا من طريق بقية بن الوليد عن صفوان .

وأخرجه كذلك الحاكم من وجه آخر عن أبى المغيرة وقال : صحيح الاسناد .

السابعة فى الحراسة : ينبغى أن يحتاط بالنهار ، فلا يمشى منفردا خارج القافلة ، لأنه ربما يغتال أو ينقطع (١) ، ويكون بالليل متحفظا عند النوم فان نام فى ابتداء الليل افترش ذراعه ، وان نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه ، هكذا كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره (٢) ، لانه (٣) ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدرى ، فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج ، والأحب فى الليل أن يتناوب الرفيقان فى الحراسة ، فاذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنة (٤) .

فان قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى ، وشهد الله (٥) ، والاخلاص والمعوذتين ، وليقل :

بسم الله ، ما شاء الله ، لا قوة الا بالله ، حسبى الله ، توكلت على الله ، ما شاء الله ، لا يأتى بالخير الا الله ، ما شاء الله لا يصرف

---

(١) فلا يهتدى للطريق أولا يمكنه الوصول اليهم ، ولكن اذا فارقهم وبعد عنهم قليلا بحيث يتراؤن لقضاء الحاجة فلا بأس .

(٢) وفى نسخة أخرى : كان ينام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسفاره ، والحديث أخرجه الامام أحمد والترمذى فى الشمائل من حديث أبى قتادة بسند صحيح ، وعزاه أبو مسعود والدمشقى والحميدى الى مسلم .

ويعقب الزبيدى على هذا فيقول : « ولم أره فيه — أى فى مسلم » اه .

ثم قال الزبيدى أيضا :

« وجدت بخط الشيخ زين الدين القرشى الدمشقى المحدث فى هامش نسخة العراقى ما نصه : ليس هو بصحيح فى مسلم ، وانما هو زيادة وقعت فى حديث أبى قتادة الطويل فى نوم النبى صلى الله عيله وسلم وأصحابه فى الوادى ، فأصل الحديث فى مسلم دون هذه الزيادة التى وقعت فى بعض رواياته فى السند ، ولفظ هذه الزيادة :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أعرس وعليه ليل توسد يمينه ، واذا عرس الصبح وضع رأسه على كفه اليمنى واقام ساعده » اه .

(٣) وفى نسخة أخرى : فانه ربما يستثقل فى النوم .

(٤) وفى نسخة أخرى : وذلك هو السنة . والحديث رواه البيهقى من طريق ابن اسحاق من حديث جابر .

(٥) أى الآية ١٨ من سورة آل عمران وهى :

« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم » .

السوء الا الله ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ، ولا دون الله ملجأ ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز ، تحصنت بالله العظيم ، واستعنت بالحى الذى لا يموت .

اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام ، واكفنا بوحشتك الذى لا يرام .

اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا .

اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك أنت أرحم الراحمين (١) .

الثامنة : مهما علا (٢) نشزا من الأرض فى الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ، ثم يقول :

اللهم لك الشرف على كل شرف ، ولك الحمد على كل حال ، ومهما هبط سبح (٣) ، ومهما خاف الوحشة فى سفره قال :

سبحان الله الملك القدوس ، رب الملائكة والروح ، جللت السموات بالعزة والجبروت(٤) .

الجملة الثانية فى آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهى خمسة :

الأول : أن يغتسل وينوى به غسل الاحرام ، **أعنى اذا انتهى**

---

(١) أخرج الطبرانى وابن السنى من طريق عمرو بن سمرة عن أبيه عن يزيد بن مرة عن على بن أبى طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أعلمك كلمات اذا وقعت فى ورطة قلتها ؟ فقلت : بلى ، جعلنى الله فداءك ، فرب خير قد علمتنيه ؟

قال : اذا وقعت فى ورطة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، فان الله يصرف بها ما شاء من أنواع البـــلاء .

(٢) وفى نسخة أخرى : « مهما علا شرفا أو نشزا ... » وهو ما ارتفع من الأرض .

(٣) أخرج البخارى فى صحيحه من حديث ابن عمر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قفل من الحج أو العمرة ، كلما أوفى على فدفد ، أو ثنية ، كبر ثلاث تكبيرات .

وأخرجه مسلم ، ومالك فى الموطأ ، والطبرانى فى الدعاء ، كلهم بنحوه .

(٤) كما أخرج ذلك الطبرانى بسنده عن البراء بن عازب ، وابن السنى عن محمد بن أبان .

الى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه(١) ، ويتمم غسله بالتنظيف ، ويسرح لحيته ورأسه ، ويقلم أظفاره ، ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة •

الثانى : أن يفـارق الثياب المخيطة(٢) ويلبس ثوبى الاحرام ، فيرتدى(٣) ويتزر(٤) بثوبين أبيضين ، فالأبيض هو أحب الثياب الى الله عز وجل ، ويتطيب فى ثيابه وبدنه ، ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام فقد :

روئى بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام (٥) •

الثالث : أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا ، أو يبدأ بالسير ان كان راجلا ، فعند ذلك ينوى الاحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو أفرادا كما أراد (٦) •

---

(١) وهذا الغسل من الأغسال المسنونة المستحبة ، فان من سنن الاحرام أن يغتسل اذا أراد الاحرام ، فقد روى الترمذى والدار قطنى والبيهقى والحاكم من طريق يعقوب بن عطاء الله عن أبيه عن ابن عباس قال :

« اغتسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لبس ثيابه ، فلما أتى ذا الحليفة صلى ركعتين ، ثم قعد على بعيره ، فلما استوى به على البيداء أحرم بالحج » اه •

(٢) يتجرد منها اذ ليس للمحرم لبس المخيط •

(٣) برداء يكون على الظهر والأكتاف •

(٤) بازار يكون من السرة الى الركبة ، ويلبس النعلين لما روى أبو عوانه فى صحيحه ، عن ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : فذكر الحديث ، وفيه « وليحرم أحدكم فى ازار ، ورداء ، ونعلين » اه •

(٥) أى اذا كان المحرم تطيب قبل أن يلبس ملابس الاحرام ، وقبل أن ينوى الاحرام ، ثم بقيت رائحة هذا الطيب فلا شىء على المحرم •

أما بعد النية فصار المحرم محرما فلا يصح أن يطيب ، ولا يضع شيئا من الروائح •

وحديث : رؤى بعض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متفق على صحته من حاديث عائشة •

(٦) وقد علق على هذا الزبيدى فقال :

« ان من سنن الاحرام التى لم يشر اليها المصنف أن يصلى ركعتين قبل الاحرام ، لما فى الصحيحين من حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم صلى بذى الحليفة ركعتين ثم أحرم » •

ويكفى مجرد النية لانعقاد الاحرام ، ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية(١) فيقول :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك(٢) ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك(٣) .

وان زاد قال : لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والرغباء اليك ، لبيك بحجة حقا ، تعبدا ورقا(٤) .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد(٥) .

الرابع : اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول :

اللهم انى أريد الحج فيسره لى وأعنى على أداء فرضه وتقبله منى (٦) ، اللهم انى نويت أداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين

---

(١) وذكر صاحب اتحاف السادة المتقين :

« ووجه آخر فى المذهب ، أن التلبية من واجبات الاحرام ، لا من سننه ، ذكره الرافعى ، وحكاه قوام الدين فى شرح الهداية عن القدورى ، أى بالوجوب ، قال صاحب البحر :

يحتمل أنه أراد بالوجوب الفرضية ، كما أطلقه عليه الأصحاب فى مواضع .

وفى شرح الآثار للطحاوى : أن التكبيرة والتلبية ركنان من أركان الصلاة والحج ونقل عن أبى حنيفة أنها فريضة فلا يصح الحج بدونها » اهـ .

(٢) وهى تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الحاجب فى كافيته :

ومنها ما وقع مثنى مثل : لبيك وسعديك .

(٣) هذه الجملة من بقية تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) وهذه زيادة ابن عمر رواه مسلم من طريق نافع كان ابن عمر يزيد مع هذا لبيك لبيك وسعديك ،والخيـر بيديك ، والرغباء اليك » .

(٥) رواه الدار قطنى ، وأبو ذر الهروى فى مناسكه عن القاسم بن محمد ابن أبى بـكر ، وأن يسأل اللـه رضوانه والجنة ، ويستعيذ برحمته من النار ، كما رواه الشافعى من حديث خزيمة بن ثابت ، أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من تلبيته فى حج أو عمرة سأل الله رضوانه والجنة ، واستعاذ برحمته من النار ، ثم يدعو بما أحب ، ولا يتكلم فى أثناء التلبية بأمر ونهى ، وغير ذلك .

(٦) لما كان الحج لا يخلو عن المشقة عادة لأن أداءه فى أزمنة متفرقة وأماكن متباعدة فحسن سؤال التيسير من الله تعالى ، لأنه الميسر لكل عسير وكذا سؤال القبول منه .

استجابوا لك (١) وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك ، واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وأرتضيت وقبلتمنهم .

اللهم فيسر لى أداء ما نيت من الحج ، اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصبى ومخى وعظامى ، وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة (٢) .

ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التى ذكرناها من قبل ، فليجتنبها .

الخامس : يستحب تجديد التلبية فى دوام الاحرام (٣) ، خصوصا عند اصطدام الرفاق ، وعند اجتماع الناس (٤) ، وعند كل صعود وهبوط ، وعند كل ركوب ونزول ، رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ، ولا ينبهر فانه لا ينادى أصم ولا غائبا ، كما ورد فى الخبر (٥) .

ولا بأس برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة ، فانها مظنة المناسك ، أعنى المسجد الحرام ، ومسجد الخيف ، ومسجد الميقات .

وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع الصوت (٦) .

---

(١) أى فى جواب النداء من الأصلاب والأرحام .

(٢) ولابد من ملاحظة معانى هذه الكلمات مع توجه القلب .

(٣) قائما كان أو قاعدا أو راكبا كان أو ماشيا ، لأنه ذكر لا اعجاز فيه فأشبه التسبيح .

(٤) وفى نسخة أخرى : « وخصوصا عند اصطدام الركاب ، وتلقى الرفاق ، وعند اجتماع الناس » .

(٥) والخبر الذى ورد هنا هو الحديث الشريف الذى أخرجه البخارى ومسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه عن أبى قال :

كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فأشرفنا على واد ، فقالوا : لا اله الا الله ، والله أكبر ، وجعلوا يجهرون بالتكبير فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم ، فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، انما تدعون سميعا قريبا وهو معكم » .

(٦) بحيث يسمع نفسه ومن يليه ، قال الطبرى فى المناسك :

رفع الصوت عندنا بالتلبية مشروع فى المساجد وغيرها .

وقال مالك رضى الله عنه : لا يرفع الصوت بها فى مساجد الجماعات .

وكان صلى الله عليه وسلم : اذا أعجبه شيء قال :

« لبيك ان العيش عيش الآخرة » (١) •

الجملة الثالثة فى آداب دخول مكة الى الطواف ، وهى ستة :

الأول : أن يغتسل بذى طوى لدخول مكة (٢) •

والاغتسالات المستحبة المسنونة فى الحج تسعة :

الأول للاحرام من الميقات (٣) ، ثم لدخول مكة (٤) ، ثم لطوافه

بل يسمع نفسه ومن يليه الا فى مسجد منى ، والمسجد الحرام ، فانه يرفع صوته بها فيهما ، وهو قول قديم للشافعى ، وزاد مسجد عرفة ، لأن هذه المساجد تختص بالنسك ورفع الصوت بها مستحب عند الجمهور ، وأوجبه أهل الظاهر لظاهر الأحاديث المتضمنة له •

(١) رواه الشافعى فى المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه ، وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات ، فلما قال : لبيك اللهم لبيك ، قال : انما الخير خير الآخرة •

(٢) وهو بضم الطاء المهملة والقصر موضع عند باب مكة ، سمى بذلك ببئر مطوية فيه ، هكذا ضبطه بعضهم ، وضبطه الأصيلى بكسر الطاء • وقال الأصمعى : هى بفتح الطاء ، قال المنذرى وهو الصواب • عن ابن عمر ــ كما جاء فى الصحيحين ــ أنه كان لا يقدم مكة الا بات بذى طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهارا ، ثم يذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فعله •

وروى مالك عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بات بذى طوى حتى صلى الصبح ، ثم اغتسل ، ثم دخل مكة • وأخرج الشافعى فى المسند : عن عائشة أنها كانت تغتسل بذى طوى حين تقدم مكة » اه •

(٣) قال الامام الشافعى فى الأم رضى الله عنه :
« أكره ترك الغسل للاحرام » •

(٤) وهو الغسل المذكور بذى طوى ، وقد روى ذلك من فعله صلى الله عليه وسلم •

القدوم (١) ، ثم للوقوف بعرفة (٢) ، ثم للوقوف بمزدلفة(٣)، ثم ثلاثة أغسال لرمى الجمار الثلاث (٤) ، ولا غسل لرمى جمرة العقبه ، ثم لطواف الوداع .

ولم ير الشافعى رضى الله عنه فى الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع (٥) ، فتعود الى سبعة .

الثانى : أن يقول عند الدخول فى أول الحرم وهو خارج مكة :

اللهم هذا حرمك ومنك فحرم لحمى ودمى وشعرى وبشرى على النار ، وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك ، واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك .

الثالث : أن يدخل مكة من جانب ابطح وهو من ثنية كداء (٦) بفتح الكاف ، « عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادة الطريق اليها » فالتأسى به أولى ، واذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهى الثنية السفلى (٧) والأولى هى العليا .

---

(١) هكذا فى سائر النسخ ، ولم يذكره الرافعى ، ولا النووى ، والظاهر أن الغسل الذى لدخول مكة ينوب عنه .

(٢) عشية عرفة أكرمنا الله تعالى بها ، وفى صحيح البخارى عن سالم عام نزل بابن الزبير سأل عبد الله بن عمر كيف أصنع فى الموقف ؟ قال سالم : ان كنت تريد السنة فهجر بالصلاة يوم عرفة ، قال عبد الله صدق وفيه قول الحجاج انظرنى حتى أفيض على رأسى ، وفى ذلك دلالة على أنه فى ذلك تابع للسنة ، ولذلك أجابه ابن عمر اليه ، وأقره عليه ، فالحجة فى تقرير ابن عمر لا فى فعل الحجاج ، ولو كان خلاف السنة لأنكره عليه ، وروى مالك عن ابن عمر أنه كان يغتسل لاحرامه قبل أن يحرم ، ولدخوله مكة ، ولوقوفه عشية عرفة » اهـ .

(٣) هكذا عبر به النووى فى المنهاج الا أنه لم يذكر الوقوف ولفظه : « وبمزدلفة غداة يوم النحر » .

(٤) وفى نسخة أخرى : لرمى الجمرات الثلاث ، وسببها أن هذه مواطن يجتمع لها الناس فاستحب فيها قطعا للروائح الكريهة .

(٥) لأن وقتهما متسع . فلا تغلب الزحمة فيهما غلبتها فى سائر المواطن .

(٦) وهى من أعلى مكة مما يلى مقابر مكة عند الحجون .

(٧) مما يلى باب العمرة ، يشير الى ما رواه الشيخان من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرس ، واذا دخل مكة دخل من الثنية العليا ويخرج من الثنية السفلى » .

الرابع : اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم (١) ، فعنده يقع بصره على البيت ، فليقل :

« لا اله الا الله والله أكبر » (٢) .

اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، ودارك دار السلام ، تباركت ياذا الجلال والاكرام .

اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته .

اللهم فزده تعظيما ، وزده تشريفا وتكريما ، وزده مهابة ، وزد من حجه برا وكرامة .

اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك ، وأعذنى من الشيطان الرجيم (٤) .

الخامس : اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من با ببنى شيبة (٤) وليقل :

---

(١) وأصل الردم السد ، يقال ردمت الثلمة ردمآ ويسمى هذا الموضع بالمصدر .
وقال الطبرى فى المناسك : وأول موضع يقع فيه بصره على البيت رأس الردم لمن ياتي من أعلى مكة ، وقد كان ذلك ، فأما اليوم فقد سد بالأبنية » اه .

(٢) وقال صاحب الوقاية من أصحابنا :
« وحين رأى البيت كبر وهلل ، ودعا وذلك لأن الدعاء عند رؤية البيت مستجاب » .

(٣) قال الطبرى : وهذا حديث صحيح صححه الحفاظ .
وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب ، انه كان يقول ذلك :
« اذا نظر الى البيت » .
ويقول بعض الفقهاء :
ان هذا الدعاء يقوله عند دخوله فى باب المسجد فيقدم رجله اليمنى ويقول :
بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة على رسول الله ، اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، وأدخلنى فيها .

(٤) روى الطبراني من حديث ابن عمر دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلنا معه من باب بنى عبد مناف وهو الذى يسميه الناس باب بنى شيبة وخرجنا معه من باب الحزوره ، وهو من باب الخياطين .

بسم الله ، وبالله ، ومن الله ، والى الله ، وفى سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا قرب من البيت قال :

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك ، وليرفع (١) يديه وليقل :

اللهم انى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تتقبل توبتى ، وأن تتجاوز عن خطيئتى ، وتضع عنى وزرى ، الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا ، وجعله مباركا وهدى للعـــالمين .

اللهم انى عبدك والبلد بلدك ، والحرم حرمك ، والبيت بيتك ، جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسألة المضطر الخائف من عقوبتك والراجى لرحمتك ، الطالب مرضاتك (٢) .

السادس : أن تقصد الحجر الأسود (٣) بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول :

اللهم أمانتى أديتها ، وميثاقى وفيته ، اشهد لى بالموافاة (٤) ،

---

(١) وهو مستقبل البيت ، فقد أخرج أبو داود من طريق عبيد الله ابن أبى يزيد أن عبد الرحمن بن طارق أخبره عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا جاز من دار يعلى ، استقبل البيت فدعا » .

(٢) وفى النوازل لأصحابنا :

« اذا دخل الحرم يقول : اللهم هذا البيت بيتك ، وهذا الحرم حرمك ، والعبد عبدك ، فوفقنى لما تحب وترضى » .

(٣) هكذا جاء وصفه فى عبارات الفقهاء باعتبار ما عليه الآن من لونه ، فقد أخرج الترمذى وصححه عن ابن عباس مرفوعا « نزل الحجر الأسـود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم » .

قال الحافظ ابن حجر :

وقد طعن بعض الملحدة ، كيف سودته الخطايا ولم تبيضه الطاعات ؟ أجيب بأن الله تعالى أجرى عادته أن السواد يصبغ ولا ينصبغ ، وبأن فى ذلك : عظة ظاهرة هى تأثير الذنوب فى الحجارة السود ، فالقلوب أولى »

(٤) يشير بذلك الى ما رواه الأزرقى عن مجاهد قال :

« يأتى الركن والمقام يوم القيامة كل واحد منهما مثل أبى قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة » .

فان لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ، ويقول ذلك (١) ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم الا ان يجد الناس فى المكتوبه فيصلى معهم ثم يطوف •

الجملة الرابعة فى الطواف :

فاذا أراد افتتاح الطواف اما للقدوم واما لغيره ، فينبغى أن يراعى أمورا ستة :

الأول : أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمكان وستر العورة(٢) ، فالطواف بالبيت صلاة ، ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام (٣) ، وليضطبع قبل ابتداء الطواف ، وهو أن يجعل وسط ردائه تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ، ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالأدعية التى سنذكرها (٤) •

---

(١) وفى نسخة أخرى : فان لم يستطع التقبيل فليقف فى مقابلته وليقل ذلك •

ثم قال الرافعى :

« ومن السنه أن يستلم الحجر الأسود بيده فى ابتداء الطواف ويقبله ويضع جبهته عليه ، فان منعته الزحمة من التقبيل اقتصر على الاستلام فان لم يكن اقتصر على الاشارة باليد ولا يشير الى التقبيل » •

(٢) يقول صاحب اتحاف السادة المتقين :

« اعلم أن للطواف بأنواعه وظائف واجبة وأخرى مسنونة الأولى الواجبات وقد عدها المصنف فى الوجيز سبعة احدها الطهارة عن الحدث والخبث ، وستر العورة كما فى الصلاة وبه قال مالك » •

(٣) رواه الترمذى من حديث ابن عباس مرفوعا بلفظ ·

الطواف بالبيت مثل الصلاة الا انكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فلا يتكلم الا بخير » وأخرجه أحمد النسائى عن طاوس •

(٤) أخرج الترمذى عن ابن عباس يرفع الحديث ، انه كان يمسك عن التلبية فى العمرة اذا استلم الحجر ، ، وقال حسن صحيح ، وأخرجه الدار قطنى بلفظ : لا يمسك المعتمر عن التلبية حتى يفتتح الطواف » •

وأخرج الشافعى والبيهقى وتمام الرازى عنه مرفوعا أنه لبى فى العمرة حتى استلم الحجر » •

الثانى(١) : اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره ، وليقف عند الحجر الأسود ، وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه ، وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل ، ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان ، فانه من البيت وعند الحجر الأسـود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به ، والطائف عليه لا يصح طوافه (٢) لأنه طائف فى البيت •

والشاذروان هو الذى فصل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ، ثم من هذا الموقف يبتدىء الطواف •

الثالث (٣) : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف :

بسم الله والله أكبر ، اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، ويطوف (٤) •

---

(١) الثانى من الأمور الستة الترتيب وهو الواجب الثانى من السبعة واليـه أشار المصنف بقوله : « اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يسـاره » •

(٢) لانه من البيت فيعتبر طائف فى داخل البيت وفى البيت لا بالبيت ، وقد قال الله تعالى : « **وليطوفوا بالبيت العتيق** »

وانما يكون طائفا به اذا كان خارجا عنه ، والا فهو غير طائف بالبيت •

(٣) الثالث من الأمور الستة فيما يستحب ان يقوله الطائف من الأدعية المـأثورة •

(٤) روى ذلك عن عبد الله بن السائب عن النبى صلى الله عليه وسلم :

وقال الحافظ ابن حجر : لم أجده هكذا ، هو فى الأم عن سعيد بن سالم عن ابن جريج ، وقد ذكره صاحب المهذب من حديث جابر وقد بيض له المنذرى والنووى ، وخرجه ابن عساكر من طريق ابن ناجيه بسند له ضعيف •

ورواه الشافعى عن ابن أبى نجيح قال أخبرت أن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله ، كيف نقول اذا استلمنا ؟ قال : قولوا : بسم الله ، والله أكبر ايمانا بالله ، وتصديقا لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم » •

وروى البيهقى والطبرانى فى الأوسط والدعاء من حديث ابن عمر أنه كان اذا استلم الحجر قال : « بسم الله والله أكبر » وسنده صحيح •

فأول ما يجاوز الحجر ينتهى الى باب البيت فيقول :

« اللهم هذا البيت بيتك ، وهذا الحرم حرمك ، وهذا الأمن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار .

وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابراهيم عليه السلام .

اللهم ان بينك عظيم ، ووجهك كريم ، وأنت أرحم الراحمين،فأعذنى من النار ، ومن الشيطان الرجيم ، وحرم لحمى ودمى على النار ، وآمنى من أهوال يوم القيامة ، واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة ، ثم يسبح الله تعالى ويحمده [1] ، حتى يبلغ الركن العراقى ، فعنده يقول :

« اللهم انى أعوذ بك من الشرك والشك ، والكفر والنفاق ، والشقاق وسوء الأخلاق ، وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد [2] .

فاذا بلغ الميزاب [3] قال :

اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ، اللهم اسقنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبدا [4] .

فاذا بلغ الركن الشامى قال :

اللهم اجعله حجا مبرورا ، وسعيا مشكورا ، وذنبا مغفورا ، وتجارة

---

(١) ويهلل ويكبر ، لما روى ابن ماجه عن أبى هريرة مرفوعا :

« من طاف بالبيت سبعا لا يتكلم الا سبحان الله ، والحمد لله ، و لااله الا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله محيت عنه عشر سيآت ، وكتب له عشر حسنات ، ورفع له عشر درجات » .

(٢) هكذا أورده المصنف فى الوجيز ، الا أنه قال : المنظر بدل المنقلب ، وقال الحافظ : هكذا ذكره الرافعى ، ولم يذكر له مستندا ، وقد أخرجه البزار من حديث أبى هريرة مرفوعا ، لكنه لم يقيده بما عند الركن ولا بالطواف .

(٣) وفى نسخة أخرى : « واذا انتهى الى تحت الميزاب من الحجر » .

(٤) ولفظ الرافعى :

« واسقنى بكأس محمد صلى الله عليه وسلم مشربا هنيئا لا أظمأ بعده أبدا ، ياذا الجلال والاكرام » .

لن تبور ، يا عزيز يا غفور ، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الأعز الأكرم (١) .

فاذا بلغ الركن اليمانى قال :

اللهم انى أعوذ بك من الكفر ، وأعوذ بك من الفقر ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من الخزى فى الدنيا والآخرة (٢) .

ويقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود :

اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار (٣) .

---

(١) فقد حكى البيهقى عن الشافعى قال :

وأحب كل ما حاذى الحجر الأسود أن يكبر وأن يقول فى رمله :

« اللهم اجعله حجا مبرورا ، وذنبا مغفورا ، وسعيا مشكورا » .

ويقول فى الأطواف الأربعة :

« رب اغفر ، وارحم واعف عما تعلم وأنت الأعز الأكرم ، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

(٢) أخرجه الأزرقى فى تاريخ مكة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه كان اذا مر بالركن اليمانى قال :

« بسم الله ، والله أكبر ، السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحمة الله وبركاته ، اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر ، والذل ومواقف الخزى فى الدنيا والآخرة ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

وأخرج ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

وكل به سبعون ملكا — يعنى الركن اليمانى — فمن قال :

« اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة ، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، قالوا : آمين » اهـ .

(٣) وفى بعض النسخ : فتنة القبر وعذاب النار ، قال الحافظ : أخرجه أبو داود والنسائى من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود :

« ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وصححه ابن حبان والحاكم .

فاذا بلغ الحجر الأسود قال :

اللهم اعفر لى برحمتك ، أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر ، وضيق الصدر وعذاب القبر (١) •

وعند ذلك قد تم شوط واحد ، فيطوف كذلك سبعة أشواط ويدعو بهذه الأدعية فى كل شوط •

الرابع : أن يرمل فى ثلاثة أشواط ، ويمشى فى الأربعة الأخر(٢) على الهيئة المعتادة (٣) •

ومعنى الرمل : الاسراع فى المشى مع تقارب الخطا ، وهو دون العدو ، وفوق المشى المعتاد ، والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة ، هكذا كان القصد أولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة (٤) •

---

(١) وأخرج أبو ذر عن أبى شعبة قال :

كنت أطوف مع ابن عمر فاذا حاذى بالركن قال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير ، حتى اذا حاذى الحجر قال :

اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار •

فقلت ما سمعناك تزيد على هذا ؟

فقال : ألست قد شهدت بكلمة الاخلاص ، وأثنيت على الله تعالى ، وسألته الخير كله ، واستعذت به من الشركاء » •

ثم يعلق صاحب اتحاف السادة المتقين على هذا فيقول :

« والظاهر من هذا السياق أنه يريد بالركن كل ركن ، فكأنه يستوعب طوافه بذلك الذكر والدعاء » اهـ •

(٢) وفى نسخة أخرى : ويمشى فى الأربعة الأخيرة على الهيئة المعتادة •

(٣) ونقل الطبرى عن المنذرى أن الرمل والخبب : وثب فى المشى مع هز المنكبين دون وثب ، والهرولة ما بين المشى والعدو ، والسعى يقع على الجميع » اهـ •

(٤) أما الرمل ففى الصحيحين عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة ، فقال المشركون : انه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ، ولقوا منها شدة ، فجلسوا مما يلى الحجر ، وأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يرملوا ثلاثة أشواط ، ويمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جلدهم ،

فقال المشركون : « هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد منا » اهـ •

والأفضل الرمل مع الدنو من البيت ، فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل ، فليخرج الى حاشيه المطاف وليرمل ثلاثا ، ثم ليقرب الى البيت فى المزدحم وليمش أربعا[١] ، وان أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الأحب ، وان منعته الزحمة أشار باليد وقبل يده ، وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الأركان .

روى أنه صلى الله عليه وسلم ، كان يستلم الركن اليمانى ويقبله ويضع خده عليه[٢] .

ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى[٣] .

الخامس : اذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم ، وهو بين الحجر والباب ، وهو موضع استجابة الدعوة[٤] ، وليلتزق بالبيت ، وليتعلق

---

(١) وللزبيدى تعليق مفيد قال فيه :

« اعلم أن القرب من البيت مستحب تبركا به ، ولا نظر الى كثرة الخطا لو تباعد ، ولو تعذر الرمل مع القرب لزحمة النـــاس فينظر ، ان كان يجـد فرجة لوتوقف ، توقف ليجدها ويرمل فيها ، وان كان لا يرجو ذلك فالبعد عن البيت والمحافظة على الرمل أولى ، لأن القرب فضيلة تتعلق بموضع العبادة والرمل فضيلة تتعلق بنفس العبادة ، والفضيلة المتعلقة بنفس العبادة أولى بالرعاية .

ووجهه فى البيان : بأن الدنو من البيت فضيلة فى الطواف والرمل هيئة فى الطواف ، ومراعاة الهيئة أولى من مراعاة الفضيلة » اهـ .

(٢) أما استلامه ، فمتفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، بألفاظ منها : .

« لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان الا اليمانيين ، ولمسلم من حديث ابن عباس : « لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين » .

وأما تقبيله له فمتفق عليـــه من حـديث عمر ، ، وللبخارى من حـديث ابن عمر :

« رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله ويستلمه » اهـ .

(٣) وفى نسخة أخرى : « فهو الأولى اذ هو الأشهر فى الرواية » .

(٤) والملتزم هـو ما بين الحجـر الأسـود وباب الكعبة ، أخـرج الأزرقى فى تاريخ مكة عن أبى الزبير عن ابن عباس قال : الملتزم ما بين الحجر والباب ، لا يلزم بينهما أحد يسأل الله شيئا الا أعطاه اياه .

وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

بالأستار ، وليلصق بطنه بالبيت ، وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه [1] ، وليقل :

اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار ، وأعذنى من الشيطان الرجيم ، وأعذنى من كل سوء ، وقنعنى بما رزقتنى ، وبارك لى فيما آتيتنى .

اللهم ان هذا البيت بيتك ، والعبد عبدك ، وهذا مقام العائذ بك من النار ، .

اللهم اجعلنى [2] أكرم وفدك عليك ، ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع [3] وليصل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا ، وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه [4] .

كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه : تنحوا عنى حتى أقر لربى بذنوبى [5] .

الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء ، وما دعا عبدالله دعوة الا استجابها ، أو نحو ذلك . وهو حديث حسن . وعن سفيان عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس قال :

فوالله ما دعوت الله عز وجل فيه قط الا أجابنى .

قال عمرو وأنا والله ما أهمنى أمر فدعوت الله عز وجل فيه الا استجاب لى منذ سمعت منه هذا الحديث .

(١) أخرج أبو داود ، وابن ماجه ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : « طفت مع عبد الله بن عمرو بن العاص ، فلما جئنا دبر الكعبة قلت : الا تتعوذ ؟ قال : نعوذ بالله من النار، ثم مضى حتى استلم فأقام بين الركن والباب ، فوضع صدره ووجهه وذراعيه هكذا وبسطهما بسطا ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله » اهـ .

(٢)وفى نسخة أخرى : اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك .

(٣) ويثنى عليه بما يلهمه الله على لسانه .

(٤) ويتنصل من ذنوبه مع التضرع والانكسار وجمع الهمة واحضار القلب .

(٥) ومن الأدعية المأثورة فى هذا الموضع ، ما أخرجه عبد الله بن أبى سليمان مولى بنى مخزوم قال :

« طاف آدم عليه السلام حين نزل بالبيت سبعا ، ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين ، ثم أتى الملتزم فقال : « اللهم انك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل

السادس : اذا فرغ من ذلك(١) ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين يقرا فى الأولى . « **قل يا ايها الكافرون** » ، وفى الثانية « **الاخلاص** » وهما ركعتا الطواف(٢) •

قال الزهرى : مضت السنة أن يصلى لكل سبع ركعتين (٣) ، وأن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز ، فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل أسبوع طواف(٤) ، وليدع بعد ركعتى الطواف ، وليقل :

« اللهم يسر لى اليسرى ، وجنبنى العسرى ، واغفر لى فى الآخرة والأولى ، واعصمنى بألطافك حتى لا أعصيك ، وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك ، واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ، ويحب عبادك الصالحين •

اللهم حببنى الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين •

معذرتى ، وتعلم مافى نفسى فاغفر لى ذنوبى وتعلم حاجتى فاعطنى سؤالى •

اللهم انى أسألك ايمانا يباشر قلبى ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى الا ما كتبت لى والرضا بما قضيت على •

فأوحى الله تعالى ، يا آدم ، قد دعوتنى بدعوات ، واستجبت لك ، ولن يدعونى بها أحد من ولدك الا كشفت همومه ، وكففت عليه ضيعته ، ونزعت الفقر من قلبه ، وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء تجارة كل تاجر ،وأتته الدنيا وهى راغمة وان كان لا يريدها » اهـ •

(١) أى من طوافه •

(٣) أخرجه الامام للبخارى والامام مسلم من حديث جابر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لما انتهى الى مقام ابراهيم قرأ : « **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى** » فصلى ركعتين ، قرأ فاتحة الكتاب ، وقل يا أيها الكافرون • وقل هو الله أحد ، ثم أعاد الى الركن فاستلمه » •

(٢) قال العراقى : ذكره البخارى تعليقا ، والسنة أفضل ، لم يطف النبى صلى الله عليه وسلم أسبوعا الاصلى ركعتين » •

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين •

(٤) رواه ابن أبى حاتم من حديث ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينهما صلاة » •

اللهم فكما هديتنى الى الاسلام فثبتنى عليه بألطافك وولايتك[1] ، واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك ، وأجرنى من مضلات الفتن»[2] •

ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف •

قال صلى الله عليه وسلم :

« من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبـــة »[3] •

وهذه كيفية الطواف •

والواجب من جملته بعد شروط[4] الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت[5] ، وأن يبتدىء بالحجر الأسود ، ويجعل البيت على يساره ، وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت ، لا على الشاذروان ولا فى الحجر ، وأن يوالى بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد ، وما عدا هذا فهو سنن وهيآت •

---

(١) وفى نسخة أخرى : بالطافك ودلالتك عليه •

(٢) هذا الدعاء أخرجه أبو ذر الهروى فى منسكه ، عن ابن عمر أنه كان اذا قدم حاجا طاف بالبيت أسبوعا ثم صلى ركعتين يطيل فيهما الجلوس ، فيكون جلوسه أطول من قيامه لمدحه ربه ، وطلبته حاجته يقول مرارا :

اللهم اعصمنى بدينك ، وطاعتك وطواعيت رسولك •

« اللهم جنبنى حدودك ، اللهم اجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ، ويحب رسلك ، ويحب عبادك الصالحين ، اللهم حببنى اليك والى ملائكتك والى رسلك والى عبادك الصالحين اللهم يسرنى لليسرى ، وجنبنى العسرى ، واغفر لى فى الآخرة والأولى •

اللهم اجعلنى أوف بعهدك الذى عاهدت عليه واجعلنى من أئمة المتقين ، ومن ورثة جنة النعيم ، واغفر لى خطيئتى يوم الدين » اه •

(٣) أخرجه الترمذى وحسنه ، والنسائى ، وابن ماجه•

(٤) يعنى بها طهارة الثوب والبدن والمطاف وستر العورة ••• الخ •

(٥) أى يجب رعاية العدد فى الطواف فان اقتصر على ستة أشواط لم تجزه ، وبه قال مالك وأحمد وعن أبى حنيفة لو اقتصر على أكثر الطواف وأراق عن الباقى دما أجزأه •

الجملة الخامسة فى السعى (١) :

فاذا فرغ(٢) من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر ، فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل ، فيرقى فيه درجات فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل .

« رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت له الكعبة »(٣) .

وابتداء السعى من أصل الجبل كاف .

وهذه الزيادة مستحبة ، ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة ، فينبغى أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعى(٤) .

واذا ابتدأ من ها هنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات . وعند رقيه فى الصفا ينبغى أن يستقبل(٥) البيت ويقول :

الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله على ما هدانا ، الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها .

لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير .

لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده .

لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

---

(١) بين الصفا والمروة .

(٢) وفى نسخة أخرى : فاذا خرج من الطواف ، والمعنى : أى بعد صلاته ركعتين ، واستلامه الحجر ، والركن وشربه من ماء زمزم .

(٣) أخرجه مسلم فى حديث جابر : فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت .

ولمسلم أيضا من حديث أبى هريرة : أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر الى البيت .

(٤) قال الرافعى : الترقى على الصفا والمروة من السنن ، والواجب السعى بينهما ، وقد يتأتى ذلك من غير رقى ، بأن يلصق العقب باصل ما يسير منه ، ويلصق رؤس أصابع رجليه بما يسير اليه بين الجبلين » .

(٥) وفى نسخة أخرى : ينبغى أن يقبل على البيت .

لا اله الا الله مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين ، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون •

اللهم انى أسألك ايمانا دائما ، ويقينا صادقا ، وعلما نافعا ، وقلبا خاشعا ، ولسانا ذاكرا ، وأسألك العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة •

ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء(١) •

ثم ينزل ويبتدىء السعى وهو يقول :

رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الأعز الأكرم(٢) •

اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار(٣) •
ويمشى على هينة حتى ينتهى الى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه اذا نزل من الصفا ، وهو على زاوية المسجد الحرام ، فاذا بقى بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ فى السير السريع وهو الرمل ، حتى ينتهى الى الميلين الأخضرين ، ثم يعود الى الهينة(٤) •

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن والآثار عن الشافعى رضى الله عنه قال : « أحب أن يخرج الى الصفا من باب الصفا ويظهر عليه بحيث يرى البيت ويستقبل البيت فيكبر ويقول : « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ••• » الخ •

(٢) رواه الطبرانى فى الدعاء ، وفى الأوسط من حديث ابن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سعى بين الصفا والمروة فى بطن المسيل قال :
« اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم » ، وفى اسناده ليث بن أبى سليم وهو ضعيف •

(٣) يقول الزبيدى : صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بين الصفا والمروة ذلك » اهـ • وقال الحافظ : وفيه نظر ، أى لم يثبت ذلك من طريق يصح ولا ضعيف •

(٤) جملة : « ثم يعود الى الهينة » لا توجد فى نسخة أخرى •

فاذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا ، وأقبل بوجهه على الصفا ، ودعا بمثل ذلك الدعاء ، وقد حصـــل السعى مرة واحدة ، فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان ، يفعل ذلك سبعا ، ويرمل فى موضع الرمل فى كل مرة ، ويسكن فى موضع السكون كما سبق(١) ، وفى كل نوبه يصعد الصفا والمروة ، فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى ، وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعى ، وليست بواجبة(٢) ، بخلاف الطواف • واذا سعى فينبغى أن لا يعيد السعى بعد الوقوف •

ويكتفى بهذا ركنا ، فانه ليس من شرط السعى أن يتأخر عن الوقوف وانما ذلك شرط فى طواف الركن ، نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان(٣) •

الجملة السادسة فى الوقوف وما قبله :

الحاج اذا انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف ، واذا وصل قبل ذلك بأيام (٤) ، فطاف طواف

---

(١) وهو فى حديث جابر عند مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ، نزل عن الصفا الى المروة ، حتى اذا انتصبت قدماه رمل فى بطن الوادى حتى اذا صعد مشى حتى أتى المروة •

(٢) وكذا ستر العورة وسائر الشروط للصلاة كما فى الوقوف وغيـــره من أعمال الحج •

(٣) فلو قدمه على الطواف لم يجزه ، وقول المصنف بعد طواف ، أى طواف كان ينظر فيه ، فانه لا يتصور وقوع السعى بعد طواف الوداع ، لأن طواف الوداع هو الواقع بعد فراغ النسك ، فاذا بقى السعى عليه لم يكن المـأتى به طواف الوداع •

(٤) فينظر ان كان متمتعا طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته ، ثم يحرم بالحج من مكة ، ويخرج على ما مر فى صورة التمتع ، وكذلك يفعل المقيمون بمكة ، وان كان مفردا بالحج ، أو قارنا بين النسكين طاف طواف القدوم ، ويمكث محرما الى اليوم السابع من ذى الحجة ، فيخطب الامام خطبة الظهر عند الكعبة ، ويأمر الناس بالخروج الى منى يوم التروية •

القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع (١) من ذى الحجة ، فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ، ويأمر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغدو منها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال (٢) ، اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر (٣) .

فينبغى أن يخرج الى منى ملبيا (٤) ، ويستحب له المشى من مكة فى المناسك الى انقضاء حجته ان قدر عليه ، والمشى من مسجد ابراهيم عليه السلام الى الموقف أفضل وآكد (٥) .

فاذا انتهى الى منى قال : اللهم هذه منى فامنن على بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك (٦) ، وليمكث هذه الليلة بمنى ، وهو مبيت

---

(١) وذلك اذ لم يكن متمتعا ، فاذا كان متمتعا تحلل من احرامه ثم يحرم مرة أخرى بالحج .

(٢) وفى نسخة أخرى : « بعد زوال الشمس » .

(٣) وبه قال أبو حنيفة ، وقال أحمد : يدخل وقته بطلوع الفجر يوم عرفة ، لما روى الدار قطنى ، والحاكم عن عروة بن مضرس الطائى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
من صلى معنا هذه الصلاة يعنى الصبح يوم النحر ، وأتى عرفات قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه ، وقضى تفثه .

(٤) أى حالة كونه يلبى عند الخروج الى منى ويدعو بما شاء .

(٥) لأنه أقرب الى التواضع ، وقيل الركوب أفضل مطلقا تأسيا به صلى الله عليه وسلم ، وليكون أعون له على الدعاء ، وهو المهم فى هذا الموضع .

(٦) يشير بهذا الدعاء أنه يلاحظ معنى المنة فى منى ، ولو اختلف مأخذهما ، فان منى معتل ، والمنة مضاعفة ، وانما سمى منى لما تمنى أى تسأل وتراق فيه من الدماء .
وقيل : من التمنى ، لأن جبريل عليه السلام ، لما أراد أن يفارق آدم عليه السلام قال له :
ماذا تتمنى ؟ قال آدم عليه السلام : الجنة .
وجمع بينهما ابن عباس فيما أخرجه ابن الجوزى فى مثير العزم ، عن سعيد بن جبير عنه ، أن رجلا سأله لم سميت منى ؟ فقال : لما يقع فيها من دماء الذبائح وشعور الناس ، تقربا الى الله تعالى ، وتمنيا للامان من عذابه » .

منزل لا يتعلق به نسك ، فاذا اصبح يوم عرفه صلى الصبح ، فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات ويقول :

اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط ، واقربها من رضوانك ، وأبعدها من سخطك •

اللهم اليك غدوت ، واياك رجوت ، وعليك اعتمدت ، ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل(١) •

فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته (٢) •

ونمرة هى بطن عرنة دون الموقف ، ودون عرفة (٣) وليغتسل للوقوف (٤) •

فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد ، وأخذ المؤذن فى الأذان ، والامام فى الخطبة الثانية ، ووصل الاقامة بالأذان ، وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن (٥) ، ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان

---

(١) وهم الملائكة ، فقد ورد فى الخبر أن الله يباهى بهم الملائكة فى هذا اليوم ، فعند مسلم ، والنسائى عن عائشة :

وانه ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول : ماأراد هؤلاء •

وعند ابن حبان عن جابر :ينزل الله الى سماء الدنيا فيباهى باهل الأرض أهل السماء •

وعن أبى هريرة : ان الله يباهى باهل عرفات ملائكة السماء •

(٢) أخرجه الامام مسلم فى صحيحه من حديث جابر ، وأخرجه الامام احمد أيضا ، وأبو داود ، من حديث ابن عمر •

(٣) قال فى المصباح : نمرة موضع قيل من عرفات ، وقيل بقربها خارج عنها •

وأما عرنه : بضم العين وفتح الراء ، قال فى المغرب : واد بحذاء عرفات ، وبتصغيرها سميت عرينه أبو القبيلة •

(٤) أخرج مالك عن ابن عمر ، أنه كان يغتسل لاحرامه قبل أن يحرم ، ولدخوله مكة ، ولوقوفه عشية عرفة •

(٥) على ما رواه امام الحرمين فى النهاية ، وقال النووى : وهذا هو الأصح ، وبه قطع الجمهور •

واقامتين (١) ، وقصر الصلاة (٢) ، وراح الى الموقف ، فليقف بعرفه ولا يقفن فى وادى عرنة (٣) .

وأما مسجد ابراهيم عليه السلام فصدره فى الوادى وأخرياته من عرفة فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة(٤) ، ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم ، والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا ، وليكثر من أنواع التحميد ، والتسبيح ، والتهليل ، والثناء على الله ، عز وجل ، والدعاء والتوبة(٥) ، ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء (٦) ، ولا يقطع التلبية يوم عـرفة بل الأحب أن يلبى تارة

---

(١) وهو قول الشافعى وأصحابه ، وأبى ثور وأصحاب الظاهر ، وأبى حنيفة وأصحابه . وقال مالك : الجمع بينهما بأذانين واقامتين لكل صلاة أذان واقامة .

(٢) وهذا هو السنة ، والمكيون والمقيمون حولها لا يقصرون خلافا لمـالك ، وليقل الامام اذا سلم :

أتموا يا أهل مكة فانا قوم سـفر كما قاله رسـول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه الشافعى ، وأبو داود ، والترمذى عن ابن علية ، عن على بن زيد عن أبى نضرة عن عمران بن حصين رضى الله عنه .

(٣) لمـا روى عن ابن عباس رفعه : عرفة كلها موقف ، وارفعوا عن بطن عرنه . أخرجه الطبرانى والحاكم .

(٤) وقال المحب الطبرى فى المناسك : اتفق العلماء على أنه لا موقف الا عرفة ، ولا موقف فى عرنة .

(٥) والتضرع والابتهال والبكاء ، وهنالك تسكب العبرات ، وتستقال العثرات ، وتنجح الطلبات ، فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجتهد فى الدعاء فى هذا الموقف ، أخرج أبو ذر عن ابن عباس قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يدعو بعرفة بالموقف ويداه الى صدره كاستطعام المسكين » .

(٦) أخرج سعيد بن منصور عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه نهى عن صوم يوم عرفة فى الحج وكان يقول :

يوم اجتهاد وعبادة ودعاء .

وأخرج الامام أحمد ، والنسائى عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان يوم عرفة ويوم النحر ، وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام ، وهى أيام أكل وشرب » . قال الترمذى : حديث صحيح .

ويكب على الدعاء أخرى (١) •

وينبغى أن لا ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع فى عرفة بين الليل والنهار (٢) ، وان أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعه عند امكان الغلط فى الهلال ، فهو الحزم ، وبه الأمن من الفوات •

ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر ، فقد فاته الحج ، فعليه أن يتحلل من احرامه بأعمال العمرة ، ثم يريق دما لأجل الفوات ، ثم يقضى العام الآتى (٣) ، وليكن أهم اشتغاله فى هذا اليوم الدعاء ، ففى مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع (٤) ترجى اجابة الدعوات •

---

(١) أخرج سعيد بن منصور عن ابن عباس قال :
« لعن الله بنى فلان ، عمدوا الى أفضل أيام الحج فمحوا زينته وانما زينة الحج التلبية » •

(٢) وذكر امام الحرمين أن القولين فى وجوب الدم يلزم منهما حصول قولين فى لزوم الجمع بين الليل والنهار فى الوقوف ، لأن ما يجب جبره من أعمال الحج لابد وأن يكون واجبا » اهـ •
وقال الرافعى معلقا على ما ذكره امام الحرمين :
« لكن فى كلام الأصحاب ما ينازع فيه ، لأن منهم من وجه عدم الوجوب ، لأن الجمع ليس بواجب ، فلا يجب بتركه الدم ، فقدر عدم وجوب الدم متفق عليه » اهـ •

(٣) وقال الرافعى :
« لو اقتصر على الوقوف ليلا كان أو نهارا كان مدركا للحج على المذهب المشهور » •
ويقول الزبيدى :
« ان الخلاف فيه مخصوص بما اذا أنشأ الاحرام لليلة النحر ، فاذا لحظ ذلك خرج ثلاثةأوجه ، أصحهما أن المقتصر على الوقوف ليلا يدرك سواء أنشأ الاحرام قبل العيد أو فيها ، وكل منهما جائز •
الثانى : أنه ليس يدرك على التقديرين •
والثالث : أنه مدرك بشرط تقديم الاحرام عليها ، ولو اقتصر على الوقوف نهارا ، وأفاض قبل الغروب كان مدركا ، وان لم يجمع بين الليل والنهار فى الوقوف •
وقال مالك : لا يكون مدركا •

(٤) تجتمع خيار عباد الله ، ومن لا يشقى بهم جليسهم من أولياء الله تعالى •

المــأثورات من الدعاء فى عرفة

والدعاء المــأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن السلف فى يوم عرفة ، أولى ما يدعو به فليقل :

لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير (١) .

اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى لسانى نورا .

اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى . وليقل :

اللهم رب الحمد لك ، الحمد كما نقول ، وخيرا مما نقول ، لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك مآبى ، واليك ثوابى .

اللهم انى أعوذ بك من وساوس الصدر ، وشتات الأمر ، وعذاب القــبر .

اللهم انى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، ومن شر ما يلج فى النهار ، ومن شر ما تهب به الرياح ، ومن شر بوائق الدهر (٢) .

اللهم انى أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك ، وجميع سخطك .

اللهم اهدنى بالهدى ، واغفر لى فى الآخرة والأولى ، يا خير مقصود(٣) وأسنى منزول به ، وأكرم مسئول ما لديه ، أعطنى العشية أفضل ما أعطيت أحدا من خلقك ، وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين .

اللهم يا رفيع الدرجات ، ومنزل البركات ، ويا فاطر الأرضين والسموات .

---

(١) أخرجه الامام مالك فى الموطا عن زياد بن أبى زياد المخزومى عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ، وابن كريز هو خزاعى تابعى ثقة .
والحديث متفق عليه رواه الموطا ، وأخرجه البيهقى .

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن من طريق عبيد الله بن موسى ، عن موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن عبيدة عن على رضى الله عنه .

(٣) وفى نسخة أخرى : ياخير مقصود اليه وأيسر منزول عليه .

ضجت اليك الأصوات بصنوف اللغات (١) ، يسألونك الحاجات ، وحاجتى اليك ، أن لا تتسانى (٢) فى دار البلاء اذا نسينى أهل الدنيا (٣).

اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شىء من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير ، الوجل المشفق المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رءوفا • رحيما ، يا خير المسئولين ، وأكرم المعطين (٤) •

الهى من مدح لك نفسه فانى لائم نفسى ، الهى أخرست المعاصى لسانى فمالى وسيلة من عمل ، ولا شفيع سوى الأمل •

الهى انى أعلم أن ذنوبى لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك أكرم الأكرمين •

الهى ان لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فان رحمتك أهل أن تبلغنى ،

---

(١) وفى نسخة أخرى : بضروب اللغات ، وفى أخرى بجميع اللغات •

(٢) وفى نسخة أخرى : وحاجتى اليك أن تذكرنى •

(٣) والحديث أخرجه الطبرانى فى الدعاء وقال حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بنسلمة عن عاصم بن سليمان عن عبد الله بن الحارث أن ابن عمر رضى الله عنهما كان عشية عرفة يرفع صوته : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير •

اللهم اهدنا بالهدى ، وزينا بالتقوى ، واغفر لنا فى الآخرة والأولى ، ثم يخفض صوته يقول :

اللهم انى أسألك من فضلك رزقا طيبا مباركا ، اللهم انك أمرتنا بالدعاء ، وقضيت على نفسك بالاجابة ، وانك لا تخلف وعدك ولا تنكر عهدك ، اللهم ما أحببت من خير فحببه الينا ويسره لنا ، وما كرهت من شىء فجنبناه وكرهه لنا ، ولا تنزع عنا الاسلام بعد اذ أعطيتناه » اه •

(٤) رواه الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، واسنادهضعيف ، ورواه أيضا ابن جميع فى مسنده وأبو ذر الهروى فى منسكه •

ورحمتك وسعت كل شيء ، وأنا شيء (١) .

الهى ان ذنوبى وان كانت عظاما ولكنها صغار فى جنب عفوك فاغفرها لى يا كريم .

الهى أنت(٢) ، وأنا أنا العواد الى الذنوب(٣) ، وأنت العواد الى المغفرة (٤) .

الهى ان كنت لا ترحم الا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون ؟

الهى تجنبت عن طاعتك عمدا ، وتوجهت الى معصيتك قصدا ، فسبحانك ما أعظم حجتك على وأكرم عفوك عنى ، فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتى عنك ، وفقرى اليك ، وغناك عنى ، الا غفرت لى ، يا خير من دعاه داع ، وأفضل من رجاه راج ، بحرمة الاسلام ، وبذمة محمد عليه الصلاة والسلام ، أتوسل اليك فاغفر لى جميع ذنوبى ، واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوائج ، وهب لى ما سألت ، وحقق رجائى فيما تمنيت (٥) .

الهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه (٦) فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه (٧) .

الهى ما أنت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه ، خاشع لك بذلته ، مستكين بجرمه ، متضرع اليك من عمله ، تائب اليك من اقترافه ، مستغفر لك من ظلمه ، مبتهل اليك فى العفو عنه ، طالب اليك نجاح حوائجه (٨) ، راج اليك فى موقفه مع كثرة ذنوبه ، فيا ملجأ كل حى ، وولى كل مؤمن من أحسن فبرحمتك يفوز ، ومن أخطأ فبخطيئته يهلك .

---

(١) من الأشياء ، ومثله قول القطب أبى الحسن الشاذلى قدس سره فى حزبه الكبير :

« الهى ان لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها فرحمتك اهل أن تنالنا » .

(٢) فى كمال ربوبيتك ، وأنا ، انا فى كمال عبوديتى .

(٣) أنا العواد ، أى الكثير العود الى الذنوب والمخالفات .

(٤) أى العواد لها بمحض فضلك وارادتك ومشيئتك .

(٥) من أمور الدنيا والآخرة .

(٦) أى الهمتنى اياه .

(٧) على لسان رسلك .

(٨) أى الفوز بها سواء دنيوية أو أخروية .

اللهم اليك خرجنا ، وبفنائك آنخنا ، وإياك أملنا ، وما عندك طلبنا ، ولاحسانك تعرضنا ، ورحمتك رجونا • ومن عذابك اشفقنا ، واليك بأثقال الذنوب هربنا ، ولبيتك الحرام حججنا ، يا من يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمائر الصامتين ، يا من ليس معه رب يدعى(١) ، ويا من ليس فوقه خالق يخشى ، ويا من ليس له وزير يؤتى(٢) ، ولا حاجب يرشى ، يا من لا يزداد على كثرة السؤال الا جودا وكرما ، وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا •

اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى(٣) ، ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة •

اللهم ان لكل وفد (٤) جائزة ولكل زائر كرامة ، ولكل سائل عطية ، ولكل راج ثوابا ، ولكل ملتمس لما عندك جزاء (٥) ، ولكل مسترحم عندك رحمة ، ولكل راغب اليك زلفى ، ولكل مسيىء اليك عفوا ، وفد وفدنا الى بيتك الحرام ، ووقفنا بهذه المشاعر العظام ، وشهدنا (٦) هذه المشاهد الكرام ، رجاء لما عندك ، فلا تخيب رجاءنا •

الهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الأنفس بتتابع نعمك ، وأظهرت العبر (٧) حتى نطقت الصوامت بحجتك ، وظاهرت المنن (٨) حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك ، وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك (٩) ، وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك ،

---

(١) أى يشاركه فى ربوبيته فيقصد ، ويتوجه اليه بالطلب •

(٢) وهو من يحمل عن الملك ثقل التدبير ، ويؤتى اليه فى قضاء الحاجات •

(٣) والقرى : هو ما يقريه من الطعام والشراب •

(٤) هم القوم يفدون ومنه الحاج وفد الله تعالى ،والجائزة : اسم لما يجاز به الوفد من المال وغيره •

(٥) وفى نسخة أخرى : ملتمس لما عندك أجرا •

(٦) وفى نسخة أخرى وشاهدنا هذه المشاهد الكرام •
والمعنى : جمع مشهد وهو كل موضع تشهده الملائكة أو أهل الخير والصلاح •

(٧) جمع عبرة بالكسر هى ما يعتبر بها الانسان •

(٨) أى تابعتها مرادفة متوالية على خلقك بمحض عدلك وجود كرمك •

(٩) الدالة على كمال وحدانيتك •

عنت الوجوه لعظمتك ، اذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت ، وان أحسنوا تفضلت وقبلت ، وان عصوا سترت ، وان اذنبوا عفوت وغفرت ، واذا دعونا أجبت ، واذا نادينا سمعت ، واذا اقبلنا اليك قربت (١) ، واذا ولينا عنك دعوت .

الهنا انك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين :

« **قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف** » فأرضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود ، وانا نشهد لك بالتوحيد (٣) مخبتين ، ولمحمد بالرسالة مخلصين ، فاغفر لنا بهذه الشهادة (٤) سوالف الاجرام ، ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل فى الاسلام .

الهنا (٥) انك أحببت التقرب اليك بعتق ما ملكت أيماننا ، ونحن عبيدك ، وأنت أولى بالتفضل (٦) ، فأعتقنا ، وانك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك ، وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ، ووصيتنا (٧) بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فأعف عنا ، ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار(٨) .

وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام (٩) وهو أن يقول :

« يا من لا يشغله شأن عن شأن ، ولا سمع عن سمع ، ولا تشتبه عليه الأصوات (١٠) ، يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات ،

---

(١) قربا يليق بذاتك ، وفى نسخة دنوت .

(٢) الآية ٣٨ من سورة الأنفال ، والمعنى : سيروا نعمة الحق ببغيهم وعنادهم .

(٣) التوحيد الظاهر والباطن حال كوننا خاضعين .

(٤) الشهادة على الاخبات والاخلاص .

(٥) وفى نسخة أخرى : اللهم انك أحببت التقرب اليك .. الخ .

(٦) وفى نسخة اخرى : أولى بالتفضل علينا فاعتقنا .

(٧) ووصيتنا على لسان رسولك صلى الله عليه وسلم .

(٨) ختم به المناجاة تبركا ولكونه جامعا شاملا لسائر خيرى الدنيا والآخرة .

(٩) وقد ذكر صاحب اتحاف السادة المتقين ، أن هذا الدعاء علمه الخضر عليه السلام للامام على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(١٠) على الرغم من تباينها واختلاف صنوفها .

يا من لا يبرمه الحاح الملحين ، ولا تضجره مسئلة السائلين ، أذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك (١)

وليدع بما بدا له ، وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات(٢) وليلح فى الدعاء ، وليعظم المسئله ، فان الله لا يتعاظمه شيء .

وقال مطرف بن عبد الله (٣) وهو بعرفة :

« اللهم لا ترد الجميع من أجلى » (٤) .

وقال بكر المزنى : قال رجل :

لما نظرت الى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم (٥) .

---

(١) وفى نسخة أخرى : « أذقنا برد عفوك ومغفرتك ورحمتك » .
ثم يعلق صاحب اتحاف السادة المتقين فيقول :
« هكذا نسب هذا الدعاء الى الخضر عليه السلام صاحب القوت وغيره من العارفين .
وأخرج ابن الجوزى فى مثير العزم عن على رضى الله عنه قال :
يجتمع فى كل يوم عرفة بعرفات جبريل ، وميكائيل ، واسرافيل والخضر عليهم السلام فيقول جبريل :
ما شاء الله لا قوة الا بالله ، فيرد عليه ميكائيل ما شاء الله ، كل نعمة من الله ، فيرد عليهما اسرافيل فيقول : ما شاء الله الخير كله بيد الله ، فيرد عليهم الخضر ، فيقول : ما شاء الله لا يدفع السوء الا الله ، ثم يفترقون فلا يجتمعون الى قابل فى مثل ذلك اليوم » اهـ .

(٢) الأحياء منهم والأموات ، بأى صيغة اتفقت ، وأقلها أن يقول : « استغفر الله لذنبى ، وسبحان الله وبحمده » .

(٣) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشى العامرى ، أبو عبد الله البصرى .

(٤) أى من الواقفين فى ذلك الموقف العظيم ، واقبل شفاعتى فيهم .

(٥) أخرجه ابن الجوزى فى مثير العزم ، عن صالح المرى ، قال : وقف مطرف وبكر بن عبد الله فقال مطرف : اللهم لا تردهم اليوم من أجلى .
وقال بكر بن مطرف : ما أشرفه من موقف ، وأرجاه لأهله لولا أنى فيهم .
وعن الفضيل بن عياض : أنه وقف بعرفة والناس يدعون وهو يبكى بكاء الثكلى محترقة ، فلما كادت الشمس تسقط قبض على لحيته ، ثم رفع رأسه الى السماء ، وقال : واسوأتاه منك ، وان غفرت .

الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف (١) .

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس (٢) فينبغى أن يكون على السكينة والوقار ، وليتجنب وجيف (٣) الخيل وايضاع الابل كما يعتاده بعض الناس ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال :

« اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا تطؤا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما » (٤) .

فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها ، لأن المزدلفة (٥) من الحرم ، فليدخله بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب الى توقير الحرم ،

وعن أبى الأديان قال : كنت بالموقف فرأيت شابا مطرقا منذ وقف الناس الى أن سقط القرص .

فقلت : يا هذا ابسط يدك للدعاء فقال لى : ثم وجه ، فقلت له : هذا يوم العفو من الذنوب ، قال : فبسط يده وفى بسط يده ، وقع ميتا .

(١) وما يتعلق بذلك من السنن والآداب والهيئات .

(٢) من ليلة العيد ففى حديث جابر الطويل عند مسلم : فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس ، وعند أبى داود ، والترمذى وابن ماجه من حديث على : ثم أفاض حين غربت الشمس .

(٣) يقال : وجف الفرس وجيفا ، وأوجف الفرس ايجافا اذا أسرع فى السير .

(٤) الحديث رواه النسائى ، والحاكم وصححه من حديث أسامة بن زيد ولفظه :

« عليكم بالسكينة والوقار ، فان البرليس فى ايضاع الابل » .

وقال الحاكم : ليس فى ايضاع الابل ، ثم قال أيضا : ليس البر فى ايجاف الخيل والابل » .

(٥) مزدلفة : سميت بها لازدلافها ، أى اقترابها من عرفات ،

وللبخارى من حديث ابن عباس : فان البرليس بالايضاع .

وقال فى المغرب : أزدلف اليه اقترب ، ومنه الموضع الذى ازدلف فيه آدم الى حواء ، ولذا سمى جمعا .

وفى المصباح : يقال للمزدلفة جمع لأن الناس يجتمعون فيها ، او لأن آدم اجتمع هناك بحواء .

ويكون فى الطريق رافعا صوته بالتلبية(١) ٠

فاذا بلغ المزدلفه ، قال .

اللهم ان هذه مزدلفه ، جمعت فيها ألسنة مختلفة ، تسألك حوائج مؤتنفة ، فاجعلنى ممن دعاك فاستجبت له ، وتوكل عليك فكفيته ٠

ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة فى وقت العشاء قاصرا لها بأذان واقامتين ليس بينهما نافلة ، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ، ويبدأ بنافلة المغرب ، ثم بنافلة العشاء كما فى الفريضتين (٢) ، فان ترك النوافل فى السفر خسران ظاهر ، وتكليف ايقاعها فى الأوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض ، فاذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية ، فبأن يجوز أداؤهما على حكم الجمع بالتبعية أولى ، ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض فى جواز أدائه على الراحلة ، لما أومأنا اليه من التبعية

---

(١) أخرج سعيد بن منصور عن الأسود قال :
أفاض عمر عشية عرفة على جمل أحمر وهو يلبى : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ٠

وفى الصحيحين عن ابن عباس عن أسامة والفضل أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة ٠

(٢) أخرج البخارى ومسلم عن ابن عمر قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء بجمع ليس بينهما سجدة ، وصلى المغرب ثلاثا ، وصلى العشاء ركعتين » ٠

وقوله ليس بينهما سجدة ، أى صلاة نافلة، وقد جاءت السجدة بمعنى الركعة ٠

وعن أبى أيوب أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع فى حجة الوداع المغرب والعشاء بالمزدلفة ٠

ثم يعلق المحب الطبرى فيقول :
وهذا الجمع سنة باجماع من العلماء ، وان اختلفوا فيما لو صلى كل صلاة فى وقتها ، فعند أكثر العلماء يجوز ٠

وقال الثورى ، وأصحاب الرأى : ان صلى المغرب دون مزدلفة فعليه الاعادة ، وجوزوا فى الظهر والعصر أن يصلى كل واحدة فى وقتها مع كراهية » ا٠ هـ ٠

والحاجة [١] ، ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسبك ، ومن خرج منها فى النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم [٢] ، واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه •

ثم اذا انتصف الليل يأخذ فى التأهب للرحيل ، ويتزود الحصى منها[٣] ، ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانها قدر الحاجة •

---

(١) وذكر الشافعى رضى الله عنه ، انهم لا ينفلون بين الصلاتين اذ أجمعوا ، ولا على اثرهما •

أما بينهما فلمراعاة الموالاة ، وأما على اثرهما فقد قال القاضى ابن كج فى الشرح : لا يتنفل الامام ، لأنه متبوع ، فلو اشتغل بالنوافل لاقتدى به الناس وانقطعوا عن المناسك ، وأما المأموم ففيه وجهان :

أحدهما : لا يتنفل أيضا كالامام ، والثانى أن الأمر واسع له ، لأنه ليس بمتبوع ، وهذا فى النوافل المطلقة دون الرواتب » اهـ •

(٢) ويقول صاحب اتحاف السادة المتقين :

« اعلم أن مبيت أربع ليال نسك فى الحج ، ليلة النحر بمزدلفة ، والثانى أيام التشريق بمنى ، لكن مبيت الليلة الثالثة منها ليس بنسك على الاطلاق ، بل فى حق من لم ينفر اليوم الثانى من أيام التشريق •

وفى الحد المعتبر للمبيت قولان حكاهما الامام ، عن نقل شيخه ، وصاحب التقريب أظهرهما : أن المعتبر كونه بمعظم المبيت فى معظم الليل ، والثانى الاعتبار بحال طلوع الفجر •

قال النووى : المذهب ما نص عليه الشافعى فى الام وغيره : أن الواجب فى مبيت المزدلفة ساعة فى النصف الثانى من الليل •

وقال فى موضع آخر : لو لم يحضر مزدلفه فى النصف الأول وحضرها ساعة فى النصف الثانى حصل المبيت ، نص عليه فى الاملاء والقديم يحصل بساعة من نصف الليل وطلوع الشمس ، وفى قول يشترط معظم الليل ، والأظهر وجوب الدم فى ترك المبيت » اهـ •

(٣) واختلفوا من أين يلتقط الحصى فالذى نص عليه الأصحاب ، أنه يلتقط من المزدلفه وهكذا رواه أبو حفص فى سيرته عن ابان بن صالح •

وفى الصحيحين من حديث الفضل بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غداة جمع حين دفعوا عليكم بالسكينة ، وهو كاف ناقته حتى دخل محسرا وهو فى منى ، قال : عليكم بحصى الخذف الذى يرمى به الجمرة » اهـ •

وذكر ابن حزم أن النبى صلى الله عليه وسلم ، رمى بحصيات التقطها له عبد الله بن عباس من موقفه الذى رمى فيه مثل حصى الخذف •

ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم(١) ، ثم ليغلس بصلاة الصبح ، وليأخذ فى المسير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الأسفار(٢) ويقول :

اللهم بحق المشعر الحرام ، والبيت الحرام ، والشهر الحرام ، والركن والمقام ، أبلغ روح محمد منا التحية والسلام ، وأدخلنا دار السلام ، ياذا الجلال والاكرام(٣) • ثم يرفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى الى موضع يقال له وادى محسر ، فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وان كان راجلا أسرع فى المشى •

ثم اذا أصبح يوم النحر(٤) خلط التبلية بالتكبير ، فيلبى تارة ويكبر أخرى ، فينتهى الى منى(٥) ومواضع الجمرات وهى ثلاثة ،

ولاتضاد بينه وبين ما تقدم ، فانه لم يقل فى الحديث أنه التقط ، وانما أمر بالالتقاط ، فيحتمل أنه لم ير تكليف الالتقاط لنفسه فى ذلك الموضع لاشتغال الناس فيه بالسعى ، وان تكلفوا ذلك فى حق أنفسهم ، ويجوز أن يكون التقط له ، ثم سقط منه ، وأن الأمر به وادى محسر لمن لم يأخذ من المزدلفه •

(١) أى الأصابع، فقد أخرج أبو داود والبغوى فى شرح السنة عن سليمان بن عمرو بن الأحوص الأزدرى عن أمه قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى بطن الوادى ، وهو يقول : « أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضا اذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف » ا• هـ •

(٢) وفى الصحاح والقاموس :

الغلس محركة ظلمة آخر الليل ، والمراد منه ههنا ما كان بعد طلوع الفجر

قال ابن الهمام : « من أصحابنا الأوفق لما نحن فيه ما نقل عز الديوان أنه آخر ظلمة الليل » •

والمعنى : يصلى الفجر بعد طلوع الفجر الثانى قبل زوال الظلام وانتشار الضياء •

وأخرج مسلم عن ابن مسعود وصلى الفجر قبل ميقاتها بغلس يعنى قبل ميقاتها المعتاد •

ولفظ البخارى : «وصلاها حين طلع الفجر» •

(٣) وهذا الدعاء أورده الجزولى فى دلائله بلفظ :

اللهم رب الحل والحرام ، ورب المشعر الحرام ، ورب البيت الحرام ، ورب الركن والمقام أبلغ لسيدنا ومولانا محمد منا السلام » أ• هـ •

(٤) أى سار على هيئته كما فى حديث الفضل بن عباس فى الصحيحين•

(٥) وجدها من آخر وادى محسر الى العقبة التى يرمى بها الجمرة يوم النحر •

فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر ، حتى ينتهى الى جمرة العقبة ، وهى على يمين مستقبل القبلة فى الجادة والمرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل ، وهو ظاهر بمواقع الجمرات (١) ، ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر مرح (٢) .

---

(١) وينبغى أن لا يعرج الناسك اذا أفاض من مزدلفة وأتى منى على شىء ، قبل رمى جمرة العقبة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو تحية منى فلا يبدأ بشىء قبلها ، وهى آخر الجمرات مما يلى مكه » .

(٢) أخرج البخارى ومسلم عن جابر قال : رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الجمرة يوم النحر ، ضحى ، وأما بعد فاذا زالت الشمس » .

وأخرج الترمذى عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعفة أهله ، وقال : لا ترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس .

وعنه قال : قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليلة المزدلفة أغيلمة بنى عبد المطلب على سبع جمرات وجعل يلطم أفخاذنا ، ويقول : ابنى لا ترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس .

أخرجه أبو داود ، وأسند بظاهر هذه الأحاديث من قال :

لا يجوز الرمى الا بعد طلوع الشمس .

وهو قول كثير من أهل العلم .

وذهب قوم الى جوازه بعد الفجر ، وقبل طلوع الشمس ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد .

وذهب الشافعى الى جوازه بعدنصف الليل وكيفية الرمى ان يقف مستقبل القبلة وان استقبل الجمرة ، فلا بأس .

كيفية الرمى

وكيفيته : أن يقف مستقبلا للقبلة وان استقبل الجمرة فلا بأس ، ويرمى سبع حصيات [١] رافعا يده ، ويبدل التلبية بالتكبير [٢] ، ويقول مع كل حصاة : الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان ، اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك[٣] ، فاذا رمى قطع التلبية والتكبير[٤] ، الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر

---

(١) هذا بيان لكيفية الوقوف لرمى جمرة العقبة ، وبيان حصى الجمرة ، ففى حديث جابر الطويل أنه صلى الله عليه وسلم رمى الجمرة من بطن الوادى بسبع حصيات .

وأخرج أبو داود عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أمه أنها رأت النبى صلى الله عليه وسلم يرمى الجمرة من بطن الوادى ، وفى الصحيحين عن ابن مسعود أنه لما رمى جمرة العقبة ، جعل البيت عن يساره ، ومنى عن يمينه ، وقال : هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة .

(٢) أخرج ابن ماجه عن ابن عباس وفيه : فلما رماها قطع التلبية .

وعند البخارى ومسلم : فلم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة .

والسنة أن يكبروا مع كل حصاة ويقطعوا التلبية اذا ابتدؤا الرمى ، فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قطع التلبية عند أول حصاة رماها ،

والمعنى فيه : أن التلبية شعار الاحرام والرمى أحد أسباب التحلل .

والتكبير مع كل حصاة جاء فى حديث جابر الطويل ، وفى حديث ابن عمر نحوه ، أخرجه البخارى تعليقا ، وعن عطاء قال :

« اذا رميت الجمرة فكبر واتبع الرمى التكبيرة .

وقال أصحابنا : هذا بيان للافضل ، ولو هلل أو صبح أجزأه لحصول التعظيم بالذكر ، وهو من آداب الرمى » .

(٣) أخرج سعيدبن منصور عن ابن مسعود أنه لما رمى جمرة العقبة قال : « اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا » .

(٤) وفى البدائع للكاسانى : فان زار البيت قبل أن يرمى ويذبح ويحلق قطع التلبية فى قول أبى حنيفة ، وعن أبى يوسف أنه يلبى ما لم يحلق أو تزول الشمس من يوم النحر ، وعن محمد ثلاث روايات احداها كابى يوسف ، والثانية رواية ابن سماعة عنه من لم يرم قطع التلبية اذا غربت الشمس من يوم النحر ، والثالثة رواية هشام عنه اذا مضت أيام النحر ،

وظاهر روايته مع أبى حنيفة ، ولو ذبح قبل الرمى وهو متمتع أو قارن يقطعها فى قول أبى حنيفة لا ان كان مفردا لأن الذبح محلل فى الجملة فى حقهما بخلاف المفرد ، وعند محمد لا يقطع اذ لا تحلل به بالرمى والحلق ا ه .

الى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ، ولا يقف فى هذا اليوم للدعاء بل يدعو فى منزله (١) •

صفة التكبير يوم النحر وأيام التشريق

وصفة التكبير أن يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، لا اله الا الله ، وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون ، لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا اله الا الله والله أكبر •

ثم ليذبح الهدى ان كان معه ، والأولى أن يذبح بنفسه (٢) ، وليقـــل :

بسم الله والله أكبر ، اللهم منك وبك واليك ، تقبل منى كما تقبلت من خليلك ابراهيم (٣) •

والتضحية بالبدن أفضل ، ثم بالبقر ، ثم بالشاة (٤) ، والشاة أفضل من مشاركة ستة فى البدنة أو البقرة ، والضأن أفضل من المعز •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خير الأضحية الكبش الأقرن » (٥) والبيضاء أفضل من الغبراء

---

(١) عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أمه قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة من بطن الوادى سبع حصيات ، ولم يقف عندها •

(٢) ففى الصحيحين من حديث أنس قال :
ضحى رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم بكبشـــين أملحين أقرنين ذبحهما بيـــده •

(٣) رواه أبو داود من حديث أنس •

(٤) على هذا الترتيب ، وفى القوت : أفضل الهدى : بدنة ، ثم بقرة ، ثم كبش أقرن أبيض ، ثم الثنى من المعز ، وان ساق هديه من الميقات فهو أفضل من حيث لا يكره ولا يجهده ا• هـ •

(٥) رواه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت ، والترمذى ، وابن ماجه من حديث أبى أمامة

والسوداء • وقال أبو هريرة : البيضاء أفضل فى الأضحى من دم سوداوين •

وليأكل منه ان كانت من هدى التطوع ولا يضحين بالعرجاء ، والجدعاء ، والعضباء ، والجرباء ، والشرقاء ، والخرقاء والمقابلة ، والمدابرة ، والعجفاء • والجدع (١) فى الأنف والأذن القطع منهما (٢) • والقضب فى القرن : وفى نقصان القوائم (٣) • والشرقاء : المشقوقة الأذن من فوق ، والخرقاء من أسفل • والمقابلة المخروقة الأذن من قدام • والمدابرة من خلف • والعجفاء المهزولة التى لا تنقى أى لا مخ فيها من الهزال •

ثم ليحلق بعد ذلك ، والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن الى العظمين المشرفين على القفا ، ثم ليحلق الباقى ويقول :

اللهم أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة ، وارفع لى بها عندك درجة •

والمرأة تقصر (٤) الشعر (٥) ، والأصلع يستحب له امرار الموسى على رأسه (٦) ، ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول ، وحل له كل المحذورات الا النساء (٧) والصيد (٨) •

---

(١) ثم شرع فى تفسير هذه الألفاظ اللغوية فقال : والجدع ... الخ •

(٢) وفى المصباح : جدعت الأنف جدعا من باب نفع قطعته ، وكذا الأذن ، واليد ، والشفة ، وجدعت الشاة : قطعت أذنها من أصلها فهى جدعاء •

(٣) وفى المصباح : غضبت الشاة والناقة أيضا شق أذنها ، وهو أعضب وهى عضباء مثل أحمر وحمراء •

(٤) وفى نسخة أخرى : « والمرأة تقصر من شعرها •

(٥) لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال :

ليس على المرأة حلق ، وانما يقصرن » أخرجه أبو داود ، والدار قطنى • والطبرانى من حديث ابن عباس واسناده حسن ، وقواه أبو حاتم والبخارى •

(٦) تشبيها بالحالقين ، وعند أبى حنيفة يجب امرار الموس على الرأس ، وللشافعى أن العبادة اذا تعلقت بجزء من البدن سقطت بفواته ، كغسل الأعضاء فى الوضوء •

(٧) روى أحمد عن عائشة مرفوعا بهذا اللفظ ، ورواه أبو داود بلفظ : اذا رمى احدكم جمرة العقبة فقد حل لكم كل شىء الا النساء •

(٨) أما الصيد : ففيه قولان : أحدهما أنها تحل ، والثانى لا تحل •

طواف الزيارة ووقته

ثم يفيض الى مكة ويطوف كما وصفناه •

وهذا الطواف طواف ركن فى الحج ، ويسمى طواف الزيارة(١) • وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر •

وأفضل وقته يوم النحر ، ولا آخر لوقته ، بل له أن يؤخر الى أى وقت شاء ، ولكن يبقى مقيدا بعلقة الاحرام(٢) ، فلا تحل له النساء الى أن يطوف ، فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع (٣) وارتفع الاحـــرام بالكلية ، ولم يبق الا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى (٤) ، وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج ، وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم ، فاذا فرغ من الركعتين ، فليسع كما وصفنا ، ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم ، وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغى أن يعيد السعى (٥) •

---

(١) لأنهم يأتون من منى زائرين البيت ويعودون فى الحال ، وانما سمى طواف ركن لأنه لابد منه فى حصول الحج ، ويسمى طواف الافاضة للاتيان به عقب الافاضة من منى •

(٢) فلا يخرج من مكة حتى يطوف ، فان طاف للوداع وخـرج وقع عن الـزيارة •

(٣) وفى نسخة أخرى : تم تحلله وحل له الجماع ، وارتفع عنه الاحرام بالكلية ، ولم يبق عليه الا رمى أيام التشريق الخ •

(٤) وأما آخر وقت بقية أعمال الحج فقد ذكرنا أن الحلق مثل الطواف فى أنه لا آخر لوقته ، وأما الرمى فيمتد وقته الى غروب الشمس يوم النحر •

(٥) لأن السعى لم يشرع الا مرة واحدة ، قال الشمنى : لكن موضع السعى بطريق الأصالة عقيب طواف الزيارة ، لأن السعى عقيب الطواف ، والشىء انما يتبع ما هو أقوى منه والسعى واجب وطواف الزيارة ركن ، وانما جاز السعى عقيب طواف القدوم لكثرة أفعال الحج يوم النحر ١• هـ •

اسباب التحلل

وأسباب التحلل ثلاثة :

الرمى ، والحلق ، والطواف ، الذى هو ركن (١) .

ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ، ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ، ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف .

---

(١) ان أعمال الحج يوم النحر الى أن يعود الى منى ، أربعة :

الرمى ، والحلق ، والطواف ، والذبح ،

والترتيب فيها على النسق المذكور مسنون ، وليس بواجب .

أما أنه مسنون فلان النبى صلى الله عليه وسلم ، كذلك فعلها ،

وأما أنه ليس بواجب ، لما روى عن ابن عمر قال : وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بمنى للناس يسألونه ، فجاء رجل فقال يا رسول الله ، انى حلقت قبل أن أرمى ؟ قال : ارم ولا حرج ، فجاء آخر فقال : انى أفضت الى البيت قبل أن أرمى ، فقال : ارم ولا حرج ، فما سئل عن شىء قدم ولا أخر الا قال افعل ولا حرج .

وعن مالك ، وأبى حنيفة ، وأحمد أن الترتيب بينها واجب ، ولو تركه فعليه دم .

خطب الحج

والسنة للامام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال ،وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

ففى الحج أربع خطب : خطبه يوم السابع ، وخطبة يوم عرفه ، وخطبه يوم النحر ، وخطبه يوم النفر الاول . وكلها عقيب الزوال ، وكلها افراد ، الا خطبه يوم عرفه فانها خطبتان بينهما جلسه .

ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمى ، فيبيت تلك الليه بمنى . وتسمى ليلة القر ، لان الناس فى غد يقرون(٢) بمنى ولا ينفرون ، فاذا أصبح اليوم الثانى من العيد ، وزالت الشمس ، اغتسل للرمى وقصد الجمرة الأولى التى تلى عرفة ، وهى على يمين(٣) الجادة ، ويرمى اليها بسبع حصيات ، فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة ، وحمد الله تعالى ، وهلل ، وكبر ، ودعا ، مع حضور القلب وخشـوع الجوارح ، ووقف مستقبل القبلة ، قـدر قراءة سورة البقرة ، مقبلا على الدعاء ، ثم يتقدم الى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الأولى ، ويقف كما وقف للأولى ، ثم ليتقدم الى جمرة العقبة ويرمى (٤) سبعا ، ولا يعرج على شـغل (٥) ، بل يرجـع الى منزله (٦) ، ويبيت تلك الليلة بمنى ، وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ،

---

(١) رواه البخارى من حديث أبى بكر خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحـر ،

وله من حديث ابن عباس : خطب الناس يوم النحر .

وفى حديث علقه البخارى ووصله ابن ماجة من حديث ابن عمر ، وقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها ، فقال : اى يوم هذا ... الحديث ، وفيه ثم ودع الناس فقالوا : هذه حجة الوداع .

(٢) أقر بالمكان قر واستقر بمعنى واحد .

(٣) وفى نسخة أخرى : وهى على متن الجادة التى يسلكها الناس .

(٤) وفى نسخة أخرى : وترميها بسبع .

(٥) وفى نسخة أخرى : ولا يعرج على شغل ، ولا يقف لدعاء ، بل يرجع الى منزله .

(٦) رواه البخارى من حديث ابن عمر ، أنه كان يرمى فى الجمرة الدنيا بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة ، ثم يتقدم ، فيسهل فيقوم مستقبل القبلة ، ثم يدعو ويرفع يديه ويقوم طويلا ، ثم يرمى الجمرة ذات العقبـة

ويصبح فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هذا اليوم احدى وعشرين حصاة كاليوم الذى قبله ، ثم هو محير بين المقام بمنى وبين العود الى مكة .

فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شىء عليه ، وان صبر الى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت ، حتى يرمى فى يوم النفر الثانى أحدا وعشرين حجرا كما سبق (١) .

وفى ترك المبيت والرمى اراقة دم ، وليتصدق باللحم ، وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت الا بمنى .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك (٢) .

ولا يتركن حضور الفرائض مع الامام فى مسـجد الخيف ، فان فضله عظيم ، فاذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلى العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة .

رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، فان لم يفعل ذلك فلا شىء عليه .

الجملة الثامنة فى صفة العمرة (٣) وما بعدها الى طواف الوداع .

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق فى الحج ، ويحرم بالعمرة من ميقاتها .

من بطن الوادى ، ولا يقف عندها ، ثم ينصرف ، ويقول هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل .

رواه أيضا النسائى فى سننه ، والحاكم .

(١) وبه قال مالك ، وأحمد ، وقال أبو حنيفة : يشرع النفر ما لم يطلع الفجـــر .

(٢) رواه أبو داود فى المراسيل من حديث طاوس ، قال : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يفيض كل ليلة من ليالى منى .

قال أبو داود : وقد أسند ، وقال العراقى : وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور البيت أيام منى ، وفيه عمر بن رباح ضعيف .

(٣) ولقد جاء فى فضل العمرة ، والحث عليها أحاديث كثيرة ، من ذلك ما أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح ، وابن حيان عن ابن مسعود رفعه :

« تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة » .

مواقيت العمـرة

وأفضل مواقيتها الجعرانة (١) ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية .

وينوى العمرة ويلبى ، ويقصد مسجد عائشة رضى الله عنها ، ويصلى ركعتين ، ويدعو بما يشاء ، ثم يعود الى مكة ، وهو يلبى ، حتى يدخل المسجد الحرام ، فاذا دخل المسجد ترك التبلية وطاف سبعا ، وسعى سبعا ، كما وصفنا .

فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته .

والمقيم بمكة ينبغى أن يكثر الاعتمار والطواف ، وليكثر النظر الى البيت (٢) ، فاذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الأفضل ، وليدخله حافيا موقرا (٣) ، قيل لبعضهم : هل دخلت بيت ربك اليوم ؟

فقال : والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربى ، فكيف أراهما أهلا لأن أطأ بهما بيت ربى ؟ وقد علمت حيث مشيتا والى أين مشيتا(٤) ؟

---

(١) فقد نقل أنه صلى الله عليه وسلم ، اعتمر من الجعرانة مرتين ، عمرة القضاء سنة سبع ، ومرة عمرة هوازن ، وأمر عائشة أن تعتمر من التنعيم ، وصلى بالحديبية ، وأراد الدخول فيها للعمرة فصده المشركون عنها .

(٢) فالنظر الى الكعبة عبادة ، عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جـــده مرفوعا : النظر الى الكعبة محض الايمان وعن سعيد بن المسيب أنه قال :
«من نظر الى الكعبة ايمانا وتصديقا ، خرج من خطاياه كيوم ولدته أمه » .
وعن ابن السائب قال :
« من نظر الى الكعبة ايمانا وتصديقا تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق عن الشجر» ا . هـ .

(٣) أى معظما ، وفى بعض النسخ : متوقرا : أى يلزم نفسه الأدب فلا يطلق بصره فى أرجاء البيت ، فذلك قد يولد الغفلة واللهو عن القصد ، ولا يكلم أحدا الا لضرورة ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، ويلزم قلبه الخشوع والخضوع ، وعينيه بالدموع ان استطاع ذلك .

(٤) ويعلق صاحب اتحاف السادة المتقين على هذا فيقول :
« وهذا نظر العارفين بالله تعالى ، فانهم يتحاملون عن الدخول فى البيت تادبا واجلالا ، لأنهم لا يرون لأنفسهم أهلية لهذا القـرب مع كمال معـرفتهم بالقصـور » ا.هـ.

وليكثر شرب ماء زمزم ، وليستق بيده من غير استتابة ان أمكنه[١] ، وليرتو منه حتى يتضلع[٢] ، وليقل :

اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم ، وارزقنى الاخلاص واليقين والمعافاة فى الدنيا والآخرة[٣] •

قال صلى الله عليه وسلم : « ماء زمزم لما شرب له » [٤] أى يشفى ما قصد به •

الجملة التاسعة فى طواف الوداع [٥] :

مهما عن له الرجوع الى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز أولا أشغاله ، وليشد رحاله ، وليجعل آخر أشغاله وداع البيت ، ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع ، فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام ، وشرب من ماء زمزم ، ثم يأتى الملتزم ويدعو ويتضرع [٦] ويقول :

---

(١) عن جابر رضى الله عنه قال : أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أفاض أتى بنى عبد المطلب وهم يسقون على زمزم فناولوه دلوا فشرب منه » ا• هـ•   (٢) التضلع الامتلاء ، حتى تمتد أضلاعه •

(٣) وهذا مشروع فى بيان آداب شرب ماء زمزم ، أخرج الدارقطنى عن عبد الله بن أبى مليكة قال :

جاء رجل الى ابن عباس فقال له : من أين جئت ؟ قال : شربت من زمزم ، فقال : أشربت منها كما ينبغى ؟ فقال : وكيف يا أبا عباس ؟ قال : اذا شربت منها فاستقبل القبلة واذكر اسم الله تعالى ، وتنفس وتضلع منها ، فاذا فرغت فاحمد الله تعالى ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان بيننا وبين الناس أنهم يتضلعون من زمزم » ا• هـ•

(٤) رواه الامام أحمد ، وابن أبى شيبة ، وابن ماجه ، والبيهقى من حديث عبد الله بن المؤمل عن أبى الزبير عن جابر رفعه •

(٥) طواف الوداع ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلا وقولا • أما الفعل فظاهر من الأحاديث ، وأما القول فنحو ما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«لا ينفرن أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت» ا• هـ•

(٦) روى ذلك عن مجاهد بلفظ :

اذا أردت أن تنفر فادخل المسجد فاستلم الحجر ، وطف بالبيت سبعا ، ثم ائت المقام فصل خلفه ركعتين ، ثم اشرب من ماء زمزم ، ثم ائت ما بين الحجر والباب فالصق صدرك وبطنك بالبيت ، وادع الله عز وجل واسأل ما أردت ، ثم عد الى الحجر فاستلمه » ا• هـ•

اللهم ان البيت بيتك ، والعبد عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، حملتنى على ما سخرت لى من خلقك حتى سيرتنى فى بلادك ، وبلغتنى بنعمتك حتى أعنتنى على قضاء مناسكك ، فان كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا ، والا فمن الان قبل تباعدى عن بيتك ، هـذا أوان انصرافى ان أذنت لى غير مستبدل بك ولا ببيتك ، ولا راغب عنك ولا عن بيتك .

اللهم أصحبنى العافية فى بدنى ، والعصمة فى دينى ، وأحسن منقلبى ، وارزقنى طاعتك أبدا ما أبقيتنى ، واجمع لى خير الدنيا والاخرة انك على كل شىء قدير .

اللهم لا تجعل هذا آخر عهدى ببيتك الحرام ، وان جعلته آخر عهدى فعوضنى عنه الجنة[1] !

والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه .

الجملة العاشرة فى زيارة المدينة وآدابها :

قال صلى الله عليه وسلم : « من زارنى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى »[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى »[3] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من جاءنى زائرا لا يمهه الا زيارتى كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعا »[4] .

---

(١) قال الرافعى : ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، وينصرف .

(٢) رواه ابن عدى ، والطبرانى ، والدارقطنى ، والبيهقى ، وضعفه من حديث ابن عمر .

(٣) رواه ابن عبد البر ، والدارقطنى فى غرائب مالك وابن حبان والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر بلفظ : « من حج ولم يزرنى فقد جفانى » .

وروى البخارى فى تاريخ المدينة من حديث أنس : « ما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر » .

(٤) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن ، وكذا صححه عبد الحق فى سكوته عنه ، والتقى السبكى فى رد مسألة الزيادة لابن تيمية باعتبار مجموع الطرق .

فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه كثيرا (١) • فاذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال :

اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى وقاية من النار وأمانا (٢) من العذاب وسوء الحساب •

وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة (٣) ، وليتطيب ، وليلبس أنظف ثيابه ، فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما (٤) ، وليقل :

بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رب أدخلنى مدخل صدق ، وأخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا •

ثم يقصد المسجد ويدخله (٥) ، ويصلى بجنب المنبر (٦) ركعتين ، ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، ويستقبل السارية التى الى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه ،

وقال أبو داود الطيالسى فى مسنده حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبرى قال حدثنى رجل من آل عمر عن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من زارنى لا يهمه الا زيارتى كنت له شفيعا أو شهيدا ، ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين » اهـ •

(١) بأن يجعل أكثر ورده ذلك مع كمال المراقبة وحضور القلب •

(٢) وفى نسخة أخرى : من النار وأمنا •

(٣) وهو موضع خارج المدينة وبه كانت الواقعة المشهورة بوقعة الحرة ، والحرة فى الأصل : أرض ذات أحجار سود •

(٤) وفى نسخة أخرى : « وليلبس أفضل ثيابه وأنظفها ، وليدخل المدينة متواضعا ومعظما » •

(٥) من باب جبريل عليه السلام ، مقدما يمناه فى الدخول قائلا :

« بسم الله ، اللهم رب محمد ، صل على محمد ، رب اغفر لى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك » قاله الزبيدى فى اتحاف السادة •

(٦) المنبر الشريف فى الروضة الشريفة •

فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يغير المسجد (١) ، وليجتهد أن يصلى فى المسجد الأول قبل أن يزاد فيه .

كيفية الوقوف أمام القبر الشريف

ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه (٢) ، وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر ، ويجعل القنديل على (٣) رأسه : وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله ، بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول :

السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، السلام عليك يا أمين الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا صفوة الله ، السلام عليك يا خيرة الله ، السلام عليك يا أحمد ، السلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك يا ماحى ، السلام عليك يا عاقب ، السلام عليك يا حاشر ، السلام عليك يا بشير ، السلام عليك يا نذير ، السلام عليك يا طهر ، السلاك عليك يا طاهر ، السلام عليك يا أكرم ولد آدم ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلام عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك يا قائد الخير ، السلام عليك يا فاتح البر ، السلام عليك يا نبى الرحمة ،

---

(١) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال :
ان الناس كثروا فى عهد عمر ، فقال له قائل : يا أمير المؤمنين ، لو وسعت فى المسجد ؟ فقال له عمر : لولا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انى أريد أن أزيد فى قبلة مسجدنا ما زدت فيه ، وزاد عمر فى القبلة الى موضع المقصورة ، وكان بين المنبر وبين الجدار الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر ما تمر شاة ، فأخرجه عمر الى موضع المقصورة اليوم وأدخل عمر فى هذه الزيارة دارا للعباس بن عبد المطلب وجعلها للمسلمين » ا ه .

(٢) ويسمى ذلك بالمواجهة .

(٣) الذى فى القبلة عند القبر على رأسه ، عن ابن أبى فديك قال :
« أخبرنى عمر بن حفص أن ابن أبى مليكه ، كان يقول : من أحب أن يقوم تجاه النبى صلى الله عليه وسلم ، فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه » .

السلام عليك يا هادى الأمة ، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى اهل بيتك الذين آذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهـيرا .

السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين ، وعلى آزواجك الطـاهرات أمهات المؤمنين ، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته . وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون ، وكلما غفل عنك الغافلون ، وصلى عليك فى الأولين والآخرين ، أفضل وأكمل ، وأعلى وأجل ، وأطيب وأطهر ، ما صلى على أحد من خلقه ، كما استنقذنا بك من الضلالة ، وبصرنا بك من العماية ، وهدانا بك من الجهالة .

أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه ، وخيرته من خلقه ، وأشـهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت عدوك ، وهديت أمتك ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين ، وسلم وشرف وكرم وعظم »[1] .

---

(١) هذا آخر ما يقول الزائر فى المواجهة الشريفة .

وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه ، أنه كان اذا قدم من سفر ودخـل المسجد ، ثم أتى القبر فقال :

« السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه ،

ثم يعلق الزبيدى فيقول :

وان قال ما يقوله الناس وهو الذى ذكره المصنف هنا فلا بأس ، الا أن الاتباع أولى ، قال أبو عبد الله الحليمى :

لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تطرونى » لوجدنا فيما يثنى به عليه ما يكل الالسن عن بلوغ مداه ، لكن امتثال نهيه خصوصا بحضرته أولى ، فليعدل عن التوسع فى ذلك الى الدعاء له ، فقد روى ابن أبي فديك قال : سمعت بعض من أدركت يقول :

« بلغنا أن من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يقـول : صلى الله عليك يا محمد ، يقولها سبعين مرة ناداه ملك ، صلى الله عليك يا فلان ، ولم تسقط له حاجة »ا. هـ.

وان كان قد أوصى تبليغ سلام فيقول :

السلام عليك من فلان ، السلام عليك من فلان (١) •

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنه (٢) •

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق (٣) عمر رضى الله عنه ويقـــول :

---

(١) والأخبار الثابتة الصحيحة فى السـلام عليه صلى الله عليه وسلم كثيرة منها :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى عليه وسلم قال :

« ما من أحد يسلم على ، الا رد الله على روحى حتى أرد عليه » أخرجه أبو داود •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول اللــه صلى الله عليه وســـــلم :

« ان لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى من أمتى السلام » ، أخرجه ابن حبان ، والامام أحمد وعن أبى طلحة قال :

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مسرور ، فقال :

ان الملك جاءنى فقال يا محمد : ان الله تعالى يقول : أما ترضى أن لا يصلى عليك أحد من عبادى صلاة الا صليت عليه بها عشرا ، ولا يسلم عليك تسليمة الا سلمت عليه به عشرا ؟ فقلت : بلى أى رب » أخرجه ابن حبان فى صحيحه •

(٢) واختلف أهل السيروغيرهم فى صفة القبور الثلاثة على روايات أصـــحها :

ما عليه الأكثر وجزم به غير واحد ، أن قبره صلى الله عليه وسلم مقدم الى جدار القبلة •

وقبر أبى بكر رضى الله عنه حذاء منكبية صلى الله عليه وسلم •

وقبر عمر رضى الله عنه حذاء منكبى أبى بكر رضى الله عنه •

قال وعلى هذا اقتصر الغزالى فى الاحياء والنووى فى الأذكار وصـــفته هكذا » أنظر اتحاف السادة •

(٣) وانما لقب بالفاروق لتفريقه بين الحق والباطل ، وتفصـــيله بين الامـــور •

السلام عليكما يا وزيرى (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا ، والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين (٢) ، تتبعان فى ذلك آثاره ، وتعملان بسنته ، فجزاكما الله خير ما جزى وزيرى نبى عن دينه (٣) ، ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة ، وليحمد الله عز وجل ، وليمجده ، وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول :

اللهم انك قد قلت وقولك الحق :

« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » (٤) .

اللهم انا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك ، متشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا ، تائبين من زللنا ، معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتب اللهم علينا ، وشفع نبيك هذا فينا ، وارفعنا بمنزلته عندك ، وحقه عليك (٥) ، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان . اللهم لا تجعله

---

(١) يقول الزبيدى فى اتحاف السادة المتقين :
« وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لى وزير ان فى السماء ، ووزيران فى الأرض ، أما فى السماء فجبريل وميكائيل ، وأما فى الأرض : فأبو بكر وعمر » .

(٢) وشرائع الاسلام ، وناهيك بما حصل فى خلافة الصديق رضى الله عنه ، من ارتداد طوائف العرب ، ومنعهم الزكاة ، ومقاتلته لهم ، وقوله : والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقاتلتهم عليه ، فلم يزل بهم حتى قطع شأفتهم ، وردهم الى خالص الدين .
وبما حصل فى زمان عمر رضى الله عنه من الفتوحات الجليلة وتمصير الأمصار ، وامتداد شوكة الاسلام ، حتى دخل الناس فيه أفواجا من سائر الاقطار .

(٣) ووزراء الرسل عليهم الصلاة والسلام ، خلفاؤهم المتبعون آثارهم ، المحيون طريقتهم .

(٤) الآية : ٦٤ فى سورة النساء .

(٥) وهذا من باب الفضل والامتنان ، والا فلا حق لمخلوق على الخالق سبحانه وتعالى .

آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين (١) .

ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله صلى الله عليه وسلم :

« ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » (٢) .

ويدعو عند المنبر ، ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليها عند الخطبة ،

---

(١) يقول الزبيدي :

« وان لم يستحضر هذا الدعاء ، فليدع بما أحب ، وألهمه الله على لسانه وقلبه .

وأخرج أبو أحمد بن عساكر عن محمد بن كعب الهلالي قال :

« دخلت المدينة فأتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابي فزاره ثم قال :

يا خير الرسل ، ان الله أنزل عليك كتابا صادقا ، وقال فيه :

« ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » .

واني جئتك مستغفرا لديك من ذنوبي ، مستشفعا بك الى الله فيها ،

ثم بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف ، فرقدت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في نومي وهو يقول : الحق الرجل فبشره بأن الله قد غفر له بشفاعتي .

فاستيقظت فخرجت فلم أجده » ا ه . وقد أخرج هذه الرواية الشيخ الزبيدي في اتحاف السادة .

(٢) يلاحظ هنا أن المؤلف جعل كل واحد حديثا منفردا ، والذي في الصحيحين ، كلاهما حديث واحد ، ولذا قال العراقي : متفق عليهما من حديث أبي هريرة ، وعبد الله بن زيد .

قال الحافظ ابن حجر : انما اتفق عليهما بلفظ : بيتي لا قبري .

وقال الزبيدي : وبيته قبره وقد جاء هكذا ، كما عند المصنف في بعض روايات هذا الحديث .

وعند الامام أحمد بن حنبل من حديث جابر رضي الله عنه ، رفعه :

ما بين منبري الى حجرتي روضة من رياض الجنة ، وان منبري على ترعة من ترع الجنة » ا ه .

ويستحب له أن يأتى احدا(١) يوم الخميس ويزور قبور الشهداء(١)، فيصلى الغداه فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ، ويعود الى المسجد لصلاة الظهر ، فلا يفوته فريضه فى الجماعه فى المسجد .
ويستحب ان يخرج كل يوم الى البقيع (٣) بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزور قبر عثمان رضى الله عنه (٤) ، وقبر الحسن ابن على رضى الله عنهما ، وفيه أيضا قبر على بن الحسين ، ومحمد ابن على ، وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ، ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذلك كله بالبقيع (٥) .

ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه ، لمـا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان له عدل عمـرة » (٦) .

---

(١) بضمتين جبل بقرب المدينة المشرفة من جهة الشام ، وكان به الوقعة المشهورة فى أوائل شوال سنة ثلاث من الهجرة .

(٢) أخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر قال :
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصعب بن عمير حين رجع ، فوقف عليه وعلى أصحابه وقال : أشهد أنكم أحيـــاء عند الله فزوروهم ، وسلموا عليهم ، فوالذى نفسى بيده ، لا يسلم عليهم أحد الا ردوا عليه الى يوم القيامة » ا . هـ .

(٣) وهو بقيع الغرقد : مقبرة المدينة ، كان فيه شجر يقال له الغرقد بالغين المعجمة ، والقاف ، وقد زال الشجر ، وبقى الاسم .

(٤) وهو فى آخر البقيع بموضع يقال له حش كوكب .

(٥) روت عائشة رضى الله عنها قالت :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلما كانت ليلتى منه ، يخرج من الليل الى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وآتاكم ما توعدون ، وأنا ان شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » أخرجه الامام مســـلم .

(٦) أخرجه النسائى ، وابن ماجه من حديث سـهل بن حنيف باسناد صـحيح .

ويأتى بئر أريس(١) ، يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فيها(٢) ، وهى عند المسجد ، فيتوضأ منها ويشرب من مائها .

ويأتى مسجد الفتح وهو على الخندق ، وكذا يأتى سائر المساجد والمشـــاهد .

عدة مشاهد المدينة ومساجدها وآبارها

ويقال لن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد(٣) ، فيقصد ما قدر عليه ، وكذلك يقصد الآبار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها ، وهى سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم (٤) ، وان أمكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة ، فلها فضل عظيم ، قال صلى الله عليه وسلم :

« لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شـــفيعا يوم القيامة » (٥) .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد

---

(١) بالقرب من مسجد قباء ، وهى التى وقع فيها خاتم النبى صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله عنه .

ويريس بالياء التحتية لغة فيه . قال فى شرح القاموس :

(٢) قال الحافظ العراقى : لم أقف له على اصل .

(٣) وهى المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، منها : مسجد القبلتين ، ومسجد ابن عبد الأشهل ، ومسجد بنى عصيفة ، ومسجد بنى معاوية ، ومسجد بنى ظفر ، وفى هذا المسجد حجر جلس عليه النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) وتلك الآبار السبعة هى :

بئر أريس ، وبئر حاء ، وبئر روقه ، وبئر عرس ، وبئر بضاعة ، وبئـــر البصه ، واختلف فى السابعة ، فقيل هى بئر السقيا ، وأوالعهن ، او بئر جمـــل » ا . هـ .

(٥) سبق تخريجه من قبل .

الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة » (١) .

ثم اذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة ، فالمستحب أن يأتى القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق ، ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة اليه ، ويسأل السلامة فى سفره ، ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة ، وهى موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة فى المسجد .

فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ، ثم اليمنى ، وليقل :

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك ، وحط أوزارى بزيارته واصحبنى فى سفرى (٢) السلامة ويسر رجوعى الى أهلى ووطنى سالما يا أرحم الراحمين(٣) .

وليتصدق على جيران(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه .

وليتتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها ، وهى عشرون موضعا (٥) .

---

(١) سبق تخريجه ، وهو من روايه جابر وأبى رهيرة ، وأبى سعيد بن أبي قاطب ، وأسماء بنت عميس وفى هذا الحديث والذى قبله : الحث على الصبر على سكناها وكراهية الخروج منها ، كتب الله لنا الاقامة فيها فى الحياة وبعد الممات بحق جاه رسوله عليه الصلاة والسلام .

(٢) اشارة الى الدعاء المروى : اللهم أنت الصاحب فى السفر .

(٣) يقول هذا الدعاء في حالة خروجه من المسجد الشريف .

(٤) وهم المجاورون بها من المتأهلين والعزاب .

(٥) قال البخارى فى صحيحه : باب المساجد التى على طرق المدينة ، والمواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم .

فصل فى سنن الرجوع من السفر

كان رسول الله صلى الله عليه وسـلم اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول :

لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده »(١) .

---

(١) وهذا الحديث فيه فوائد :

الأولى : أخرجه البخارى ومسلم ، والنسائى من طريق عبيد الله بن عمر ، ومسلم وحده من طريق الضحاك بن عثمان .

كلهم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة فساقوه مثل سياق المصنف الا أنه عندهم ثم يقول : بدل ويقول .

الثانية : كان اذا قفل من القفول وهو الرجوع من السفر ، ولا يستعمل الا فى انتهاء السفر ، وانما سمى المسافرون ، قافلة تفاؤلا لهم بالقفول والسلامة والشرف محركة المكان المرتفع .

الثالثة : فيه استحباب الاتيان بهذا الذكر فى القفول من سفر الغـزو والحج والعمـرة .

الرابعة : الحديث صريح فى اختصاص التكبير ثلاثا بحالة كونه على المكان المرتفع ، وأما قوله ويقول ، وعند الجماعة ، ثم يقول : لا اله الا الله ... فيحتمل الاتيان به وهو على المكان المرتفع ، ويحتمل أن لا يتقيد بذلك بل ان كان المرتفع واسعا قال فيه وان كان ضيقا كمل بقية الذكر بعد انهباطه ، ولا يستمر واقفا فى المكان المرتفع لتكميله .

الخامسة : فى شرح الترمذى مناسبة التكبير فى المكان المرتفع ان الاستعلاء والارتفاع محبوب للنفوس ، وفيه ظهور وغلبة على من هو دونه ، فينبغى لمن تلبس به ، أن يذكر عند ذلك كبرياء الله ويشكر له ذلك يستمطر بذلك المزيد مما من به عليـه .

السادسة : قوله آيبون وما بعد ، ما فائدة الأخبار بالأوب وهو ظاهر من حالهم فما تحت الأخبار بذلك من الفائدة ؟

والجواب عن ذلك : أنه يراد أوب مخصوص وهو الرجوع من المخالفة الى الطاعة أو التفاؤل بذلك أو الاعلام بأن السفر المقصود ، قد انقضى فهو استبشار بكمال العبادة والفراغ منها وحصول المقصود والظفر به .

السابعة : قوله : تائبون يحتمل أن يكون اشعارا بحصول التقصـير فى العبادة فيتوب من ذلك وهو تواضع وهضم النفس ، أو تعليم لمن يقع ذلك منه فى سفر الطاعات فيخلطه بما لا يجوز فعله .

وفى بعض الروايات :

« وكل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون » . فينبغى أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه .

واذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول :

اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا ، ثم ليرسل الى أهله من يخبرهم بقدومه كى لا يقدم عليهم بغتة ، فذلك هو السنة ولا ينبغى أن يطرق أهله ليلا ، فاذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاذا دخل بيته قال : توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا ، فاذا استقر فى منزله فلا ينبغى أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود الى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى ، فما ذلك علامة الحج المبرور ، بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت .

الثامنة : قوله ساجدون بعد قوله عابدون من ذكر الخاص بعد العام .

التاسعة : فى قوله : آيبون ... الخ دليل على جواز السجع فى الدعاء والكلام اذا كان بغير تكلف والمنهى عنه من ذلك ما كان باستعمال وروية لانه يشغل عن الاخلاص ، وأما ما ساقه الطبع وقذف به قوة الخاطر فمباح فى كل شىء .

العاشرة : مجموع هذا الذكر انما كان صلى الله عليه وسلم ياتى به عند القفول ، وكان يأتى بصدره فى الخروج أيضا ففى صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر كبر ثلاثا ثم قال : الذى .. الى الدعاء الذى ذكرناه أولا وفى آخره ، واذا رجع قالهن : وزاد آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » .

الفصل الثالث

فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهى عشرة

الأول : أن تكون النفقة حلالا[1] ، وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم ، حتى يكون الهم مجردا لله تعالى ، والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت :

« اذا كان آخر الزمان خرج الناس الى الحج أربعة أصناف : سلاطينهم للنزهة ، وأغنياؤهم للتجارة ، وفقراؤهم للمسألة ، وقراؤهم للسمعة »[2] .

وفى الخبر اشارة الى جملة أغراض الدنيا التى يتصور أن تتصل بالحج ، فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ، ويخرجه عن حيز حج الخصوص ، لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة ، وقد كره الورعون[3] وأرباب القلوب ذلك الا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه ، فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا ، بل بالدنيا الى الدين . فعند ذلك ينبغى أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باسقاط الفرض عنه ، وفى مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فقد أخرج أبو ذر فى منسكه ، عن أبى هريرة رفعه :

« من يمم هذا البيت بالكسب الحرام ، شخص فى غير طاعة الله فاذا أهل ووضع رجله فى الركاب وبعث راحلته وقال لبيك اللهم لبيك ، نادى مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك ، كسبك حرام ، وثيابك حرام ، وراحلتك حرام ، وزادك حرام ، ارجع مأزورا غير مأجور ، وابشر بما يسوءك .

واذا خرج الرجل حاجا بمال حلال ، ووضع رجله فى الركاب وبعث راحلته وقال :

لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء ، لبيك وسعديك ، أجبت بما تحب ، راحلتك حلال ، وثيابك حلال ، وزادك حلال ، ارجع مبرورا غير مأزور ، واستنف العمل » .

(٢) قال العراقى : رواه الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول ، وليس فيه ذكر السلاطين .

(٣) رواه ابن عدى وقال منتفى الاسناد منكر المتن » .

« يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة : الموصى بها ، والمنفذ لها ، ومن حج بها عن أخيه »[١] •

ولست أقول لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه[٢] ، ولكن الاولى أن لا يفعل ، ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره ، فان الله عز وجل يعطى الدنيـــا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيـــا •

وفى الخبر : « مثل الذى يغزو فى سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام : ترضع ولدها وتأخذ أجرها »[٣] •

فمن كان مثاله فى أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه ، فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه ، وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لهـــا الارضاع بتلبيس حالها عليهم [٤] •

الثانى : أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتســليم المكس [٥] ، وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين فى الطريق ، فان تسليم المـــال اليهم اعانة على الظلم وتيسير لأســـبابه عليهم ، فهو كالاعانة بالنفس ، فليتلطف فى حيلة الخلاص [٦] ، فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله :

ان ترك التنفـــل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من اعانة الظلمة ، فان هذه بدعة أحدثت ، وفى الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة ،

---

(١) وفى رواية أخرى : ومن حج عن أخيه ، والحديث رواه البيهقى من حديث جابر بسند ضعيف •

(٢) كما هو مذهب الشافعى ، وقال مالك ، وأبو حنيفة ، لو لم يحج لنفسه ، وفيه تفصيل سبق •

(٣) رواه ابن عدى وقال منتفى الاسناد منكر المتن » •

(٤) ولفظ القوت هذا اذا كانت نيته الجهاد واحتاج الى معونة عليـه ، كذلك من كانت نيته فى حجته الآخرة والتقرب الى الله تعالى بالطواف والعمرة بعد قضاء ما عليه لم يضره أجر حجه » •

(٥) هو فى الأصل الجباية وغلب استعماله فيما يأخذه أعوان السلطان ظلما عند البيع والشراء •

(٦) وقال صاحب القوت :

وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية[١] ، ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ منى وانا مضطر ، فانه لو قعد فى البيت او رجع من الطريق لم يأخذ منه شىء ، بل ربما يظهر اسباب الترفه فتكثر مطالبته ، فلو كان فى زى الفقراء لم يطالب ، فهو الذى ساق نفسه الى حالة الاضطرار .

الثالث : التوسع فى الزاد[٢] وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا اسراف [٣] ، بل على الاقتصاد ، وأعنى بالاسراف التنعم بأطايب الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين ، فأما كثرة البذل فلا سرف فيه ، اذ لا خير فى السرف ولا سرف فى الخير كما قيل ، وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل ، والدرهم بسبعمائة درهم [٤] ، قال ابن عمر رضى الله عنهما : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره [٥] .

وكان يقول : أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة ، وأحسنهم يقينـــا .

وقال صلى الله عليه وسلم :

ومن فضائل الحج أن لا يقوى أعداء الله الصادين عن المسجد الحرام بالمال، فان المعونة والتقوى بالمال يضاهى المعـونة بالنفس والصد عن المســـجد الحرام يكون بالمنع والاحصار ، ويكون بطلب المـال ، فليحتل فى التخلص من ذلك » اه.

(١) لأن ذلك عنده دخيلة فى الدين ، ووليجه فى طـريق المؤمنين واقامة واظهار لبدعة أحدثت فى الآخذ والمعطى فهما شريكان فى الاثم والعدوان ، وهذا كما قال لأن جعل بدعة سنة ، ودخلا فى صغار وذلة ومعاونة على وزر أعظم فى الجرم من تكلف حج نافلة ، وقد سقط فرضه كيف وفى ذلك ادخال ذلة وصغار على المسلمين والاسلام مضاهاة للجزية .

(٢) الذى يحمله معه مما لابد له منه مما يحتاج اليه .

(٣) أى لا يضيق على نفسه ورفيقه ولا يوسع توسيعا .

(٤) أخرجه أحمد ، وابن أبى شيبة عن بريدة رضى الله عنه مرفوعا .

(٥) وهذا يحتمل أن يكون معناه نفاسة زاده ، أو المـراد طيب نفســه فى بذلــه .

« الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة »(١) .

فقيل له يا رسول الله ما بر الحج ؟ فقال : طيب الكلام واطعام الطعـــام »(٢) .

الرابع : ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن(٣) .

والرفث (٤) اسم جامع لكل غلو وخنا وفحش من الكلام ، ويدخـــل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن ، والتحدث بشأن الجماع ومقدماته ، فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور ، والداعى الى المحظور محظور .

والفسق (٥) اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل .

والجدال هو المبالغة فى الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق فى الحال الهمة ويناقض حسن الخلق (٦) ، وقد قال سفيان :

من رفث فسد حجه .

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طيب الكلام ، مع اطعام الطعام ، من بر الحج ، والمماراة تناقض طيب الكلام ، فلا ينبغى أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله ، وعلى غيره من أصحابه ،

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وأوله : العمرة كفارة لما بينهما . الحديث .

ومعنى : المبرور ، هو الذى لا يخالطه اثم ، وقيل المتقبل ، وقيـــل الذى لا رياء فيه ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق .

وقوله ليس له جزاء .. الخ أى لا يقتصر فيه على تكفير بعض الذنوب ، بل لابد أن يبلغ به الجنة .

(٢) أما من جهة : قيل يا رسول الله ، وما بر الحج ؟ قال : طيب الكلام ، واطعام الطعام » فهذا من الزيارة التى رواها الامام أحمد من حديث جابر بن عبد الله بسند لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الاسناد قاله العراقى ، وقال الزبيدى هكذا هو عند المخلص للذهبى .

(٣) وهو قوله تعالى : « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .

(٤) وقال الازهرى فى التهذيب :

« الرفث كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة » .

(٥) وفى نسخة أخرى : الفسوق ، جمع فسق .

(٦) فهذه ثلاثة أسماء جامعة مختصرة لهذه المعانى المثبتة أمر الله تعالى بتنزيه شعائره ومناسكه منها ، لانها مشتملة على الآثام ، وهن اصـــول الخطـــايا والآثام .

بل يلين جانبه ، ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله عز وجل ، ويلزم حسن الخلق ، وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى .

وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال ، ولذلك قال عمر رضى الله عنه ، لمن زعم أنه يعرف رجلا :

هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال : لا ، فقال : ما أراك تعرفه(١) .

الخامس : أن يحج ماشيا ان قدر عليه ، فذلك الأفضل(٢) ، أوصى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال :

يا بنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم ؟ قال : الحسنة بمائة ألف حسنة .

والاستحباب فى المشى فى المناسك ، والتردد من مكة الى الموقف ، والى منى آكد منه فى الطريق ، وان أضاف الى المشى الاحرام من دويرة أهله ، فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج ، قاله عمر ، وعلى ، وابن مسعود رضى الله عنهم ، فى معنى قوله عز وجل : « **وأتموا الحج والعمرة لله** »(٣) .

وقال بعض العلماء : الركوب أفضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ،

---

(١) ورواه الاسماعيلى فى مناقب عمر بلفظ ، روى عن عمر أن رجلا أثنى عنده على رجل ، فقال أصحبته فى السفر قال : لا قال أعاملته ؟ قال : لا ، قال : فما تعرفه والله » ا . هـ .

(٢) وفى نسخة أخرى : ان قدر على ذلك فهو أفضل .

وروى ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت الأنبياء يحجون مشاة حفاة يطوفون بالبيت العتيق ويقضون المناسك مشاة حفاة .

وعنه أن آدم عليه السلام حج أربعين حجة على قدميه .

(٣) اعلم أن معنى التوقيت بالمواقيت المعروفة منع مجاوزتها اذا كان مريدا للنسك ، أما الاحرام قبل الوصول فلا منع عند الجمهور .

ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه ، وأقرب الى سلامته وتمام حجـــه[١] .

وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للأول ، بل ينبغى أن يفصل ، ويقال : من سهل عليه المشى فهو أفضل ، فان كان يضعف ويؤدى به ذلك الى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل ، كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض الى ضعف وسوء خلق .

وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشي فيهـــا أو يكترى حمارا بدرهم ؟ فقال : ان كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشى ، وان كان المشى أشد عليه كالأغنياء فالمشى له أفضل ، فكأنه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس ، وله وجه ، ولكن الأفضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم الى خير ، فهو أولى من صرفه الى المكارى عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المـــال فما ذكره غير بعيد فيه[٢] .

السادس : أن لا يركب الا زاملة [٣] ، أما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر ، وفيه معنيان :

أحدهما : التخفيف على البعير فان المحمل يؤذيه .

والثانى : اجتناب زى المترفين [٤] المتكبرين .

---

(١) وهو قول مالك والشافعى ، قالا الركوب أحب الينا من المشى ، قال ابن المنذر : وهو أقرب الى الفضل من المشى ، لأنه موافق لفعله صلى الله عليه وسلم ، وأعون على العبادة ،

ثم ان المراد ببعض العلماء الشافعى كما تبين لك من السياق .

(٢) وفى نسخة أخرى : « غيربعيد » ثم قال صاحب القوت :

« وعندى أن الاعتماد ماشيا أفضل ، وكذلك الحج ماشيا لمن أطاق المشى ولم يتضجر به وكان له همة وقلب » .

(٣) وهى البعير الذى يحمل عليه الزمالة وهى بالكسر أداة المسافر ، وما يكون معه فى السفر كأنهما فاعلة من زمل ،

روى البخارى ، وابن حبان عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم ، حج على رحل وكانت زاملة » .

(٤) فان هذه للتشبه بهم وباهل الدنيا من أهل التفاخر والتكاثر فيكتب من المتكبرين .

« حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم » [١] .

« وطاف على الراحلة [٢] ، لينظر الناس الى هديه وشمائله » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « خذوا عنى مناسككم » .

وقيل ان هذه المحامل أحدثهـا الحجاج وكان العلمـاء فى وقته ينكرونها ، فروى سفيان الثورى عن أبيه أنه قال .

برزت من الكوفة الى القادسية [٣] للحج ، ووافيت الرفاق من البلدان ، فرأيت الحاج كلهم على زوامل ، وجوالقات ورواحل ، وما رأيت فى جميعهم الا محملين .

وكان ابن عمر اذا نظر الى ما أحدث الحجاج من الزى والمحامل يقول : الحاج قليل والركب كثير ، ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج [٤] .

الســابع : أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر ، غير مســتكثر من الزينة [٥] ولا مائل الى أسباب التفاخر والتكاثر [٦] ، فيكتب فى ديوان

---

(١) رواه الترمذى فى الشمائل ، وابن ماجه ، من حـديث أنس بسـند ضـعيف .

وراه أبو يعلى الموصلى فى مسنده أيضا ، وعند أبى ذر الهروى بلفظ :

« حج النبى صلى الله عليه وسلم على رحل رث عليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم وقال :

« اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة » .

ومعنى القطيفة : أى كساء له هدب .

(٢) فى حجة الوداع ، متفق عليه من حديث ابن عباس ، وحديث جابر .

(٣) والقادسية : موضع بقرب الكوفة من جهة الغرب على طرف البادية نحو خمسة عشر فرسخا ، وهى آخر أرض العرب ، وأول سواد العـراق ، وكانت هناك وقعة مشهورة فى خلافة عمر رضى الله عنه .

قاله الزبيدى فى اتحاف السادة .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور ولفظه :

« أن ابن عمر سمع رجلا يقول : ما أكثر الحاج ، فقال ابن عمر : ما أقلهم ، فنظر فاذا رجل جالس بين جواليقه فقال لعل هذا يكون منهم » .

(٥) الدنيوية من الملابس الفاخرة وغيرها .

(٦) على عادة أهل الدنيا فلا يتشبه بهم .

المتكبرين المترفين ، ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين ، وخصوص الصالحين ، فقد أمر صلى الله عليه وسلم ، بالشعث والاختفاء » (١)

و « نهى عن التنعم والرفاهية » • فى حديث فضالة بن عبيد (٢) •

وفى الحديث : « انما الحاج الشعث التفث » (٣) •

ويقول الله تعالى : انظروا الى زوار بيتى قد جاءونى شعثا غبرا من كل فج عميق (٤) ••

وقال تعالى : « ثم ليقضوا تفثهم » •

والتفث : الشعث والاغبرار ، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفـــار •

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أمراء الأجناد :

اخلولقوا واخشوشنوا ، أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة فى الأشياء •

وقد قيل زين الحجيج أهل اليمن ، لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف •

فينبغى أن يجتنب الحمرة فى زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم ، فقد روى أنه صلى الله عليه وسلم :

كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى أكسية حمر على الأقتاب فقال صلى الله عليه وسلم أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنـــا اليها ونزعناها عن ظهـــورها حتى شرد بعـــض الابل » (٥) •

---

(١) والشعث : انتشار الشعر لقلة التعاهد به ، والاحتفاء المشى حافيا ، والحديث رواه البغوى ، والطبرانى من حديث عبد الله بن أبى حدرد مرفوعا •

(٢) رضى الله عنه ، وهو صحابى شهد أحدا ، والحديبية ، وولى قضاء دمشق سنة ٥٣ •

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر ، وقال الترمذى غريب ، وفى نسخة التفث بدل التفل •

(٤) رواه الحاكم وصححه من حديث أبى هريرة دون قوله : « من كل فج عميق » وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر •

(٥) رواه أبو داوود من حديث رافع بن خديج ، وفيه رجل لم يسم •

الثامن : أن يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق ، والمحمل خارج عن حد طاقتها ، والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها . كان أهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود ، وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى » (١) .

ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة ، وفيه آثار السلف ، رضى الله عنهم (٢) .

وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل ، ويوفى الأجرة ، ثم : كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا الى الدابة ، فيكون فى حسناته ويوضع فى ميزانه ، لا فى ميزان المكارى .

وكل من آذى بهيمة وحملها مالا تطيق طولب به يوم القيامة .

قال أبو الدرداء (٣) : لبعير له عند الموت : يا أيها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم أكن أحملك فوق طاقتك .

وعلى الجملة فى كل كبد حراء أجر . فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا ، وفى نزوله ساعة (٤) ترويح الدابة وسرور قلب المكارى (٥) .

قال رجل لابن المبارك : احمل لى معك هذا الكتاب لتوصله ، فقال : حتى أستأمر الجمال فانى قد اكتريت .

---

(١) رواه الامام أحمد من حديث سهل بن معاذ عن أبيه بسند ضعيف ، ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه ، ورواه كذلك ابن حبان .

(٢) فانهم كانوا يمشون والدواب تقاد بين أيديهم .

(٣) هو أبو الدراء عويمر بن عامر رضى الله عنه .

(٤) من أى وقت كان ، وخاصة فى آخر السير قبل النزول فى المنزل ، أو فى موضع كثير الرمل ، وما أشبهه .

(٥) ففيه مراعاة الحقين ، ولا يحمل على الدابة المكتراه الا ما قاضى عليه الجمال ، وما أذن له فيه .

فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له ؟ وهو طريق الحزم فى الورع ، فانه اذا فتح باب القليل الجر الى الكثير يسيرا يسيرا (١) •

التاسع : أن يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه(٢) ، ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه ، وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل منه ان كان واجبا (٣) •

قيل فى تفسير قوله تعالى : « ذلك ومن يعظم شعائر الله » انه تحسينه وتسمينه •

وسوق الهدى من الميقات أفضل ان كان لا يجهده ولا يكده (٤) ، وليترك المكاس فى شرائه ، فقد كانوا يغالون فى ثلاث ، ويكرهون المكاس فيهن : الهدى ، والأضحية ، والرقبة ، فان أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله ، وروى ابن عمر أن عمر رضى الله عنهما أهدى بختيه (٥) فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها (٦) ، وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون •

وفى ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة ، وفيها تكثير اللحم ، ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل ، فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أو قل (٧) •

---

(١) فمن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه •

(٢) بأن كان مفردا ، فان كان قارنا من ميقاته ففيه ايجاب هدى يقربه •

(٣) مثل نسك قران ، أو متعة ، أو كفارة •

(٤) وفى صحيح البخارى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم ، ساق الهدى من ذى الحليفة •

(٥) وفى نسخة أخرى : نجيبة من الابل •

(٦) رواه أبو داود : وقال انحرها •

(٧) وفى نسخة أخرى : قل ذلك أو كثر •

« وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بر الحج ؟
فقال : العج والثج »(١) •
والعج هو رفع الصوت بالتلبية ، والثج هو نحر البدن(٢) •
وروت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ما عمل آدمى (٣) يوم النحر أحب الى الله عز وجل من اهراقه (٤) دما ، وانها لتأتى يوم القيامة بقرونها وآظلافها ، وان الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفسا » (٥) •

وفى الخبر : « لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فأبشروا » (٦) •

وقال صلى الله عليه وسلم :
« استنجدوا هداياكم فانها مطاياكم يوم القيامة » •

العاشر : أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى ، وبما أصابه من خسران ومصيبة فى مال أو بدن ، ان أصابه ذلك ، فان ذلك من دلائل قبول حجه (٧) ، فان المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله عز وجل : الدرهم بسبعمائة درهم (٨) ، وهو بمثابة الشدائد

---

(١) رواه ابن المنكدر عن جابر رضى الله عنه •
(٢) رواه الترمذى واستغربه ، وابن ماجه والحاكم ، وصححه ، والبزار ، واللفظ من حديث أبى بكر •
(٣) وفى رواية : ما عمل ابن آدم •
(٤) وفى نسخة أخرى : من اهراق الدم •
(٥) رواه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه وضعفه ابن حبان ، وقال البخارى انه مرسل ، ووصله ابن خزيمة •
الا أن عند الترمذى : بقرونها واشعارها ، واظلافها ، واهراق الدم ، اراقتـــه •
(٦) رواه ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى من حديث زيد بن أرقم •
ورواه الامام أحمد فى حديث فيه بكل شعرة حسنة •
(٧) ودليل نظر الله اليه فى قصده •
(٨) وذلك لأن الحج أشبه شىء بالجهاد ، وفى كل منهما الأجر على قدر النصب ، ولذلك قال :
« وذلك بمثابة الشدائد فى طريق الجهاد » •

فى طريق الجهاد ، فله بكل أذى احتمله (١) وخسران أصابه ثواب ، فلا يضيع منه (٢) شيء عند الله عز وجل (٣) •

وقال : ان من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصى ، وأن يتبدل باخوانه البطالين اخوانا صالحين ، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة •

---

(١) وهذا أعم من أن يكون من الأوجاع ، والأمراض ، أو من الرفقاء والاتبـــــاع •

(٢) وفى نسخة أخرى : « ولا يضيع من ذلك عند الله شيء » •

(٣) بل يخلف الله عليه كل ما ذهب له من بدن او مال •

بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج الى اخره [١]

اعلم أن أول الحج الفهم ، أعنى فهم موقع الحج فى الدين[٢] ، ثم الشوق اليه ، ثم العزم عليه ، ثم قطع[٣] العلائق المانعة منه ، ثم شراء ثوب الاحرام [٤] ، ثم شراء الزاد ، ثم اكتراء الراحلة ، ثم الخروج ، ثم المسير [٥] فى البادية ، ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ، ثم دخول مكة ، ثم استتمام الأفعال كما سبق •

وفى كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر ، وعبرة للمعتبر ، وتنبيه للمريد الصادق ، وتعريف واشارة للفطن •

فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه [٦] •

أما الفهم : فاعلم أنه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى الا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات ، والاقتصار على الضرورات فيها ، والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات ، ولأجل هذا انفرد الرهبانيون [٧] فى الملل السالفة عن الخلق ، وانحازوا الى قلل الجبال [٨] ، وآثروا التوحش عن الخلق ، لطب الأنس بالله عز وجل ، فتركوا لله

---

(١) على الترتيب المذكور فى كتب الفقه •

(٢) بأن يفهم أنه أحد أركان الدين الذى لا يتصور الدين مع عدمه •

(٣) ثم بعد العزم مباشرة الأسباب التى توصله اليه وأعظمها قطع العلائق المانعة منه •

(٤) وفى نسخة أخرى: «ثم شراء ثوبى الاحرام ، ويقصد من ذلك : الازار، والرداء ، الجديدين أو غسيلين •

(٥) وفى نسخة أخرى : ثم السير فى البادية •

(٦) وفى نسخة أخرى : وغزارة علمه •

(٧) جمع راهب ، والمشهور : رهبانى ، وقيل الرهابين جمع الجمع ، وهم عباد النصارى ، والاسم الرهبانية من الرهبة وهو الخوف ، وقد ترهب الراهب انقطع للعبادة •

(٨) أى رءوسها لئلا يعلم مكانهم •

عز وجل اللذات الحاضرة ، وألزموا أنفسهم بالمجاهدات الشاقة (١) طمعا فى الآخرة ، واثنى الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال :

« ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » (٢) .

فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتبـاع الشهوات ، وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل ، وفتروا عنه ، بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لأحياء طريق الآخرة ، وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها ، فسأله أهل الملل عن الرهابنية والسياحة فى دينه ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف (٣) يعنى الحج .

« وسـئل صلى الله عليه وسلم عن السائحين ، فقـال : هم الصائمون » (٤) .

فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم (٢) ، فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه تعالى ، ونصبه مقصدا لعباده ، وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه ، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ، ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق ، شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ، ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته ، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت

---

(١) الشديدة على النفس من ترك الأكل والشرب والملابس الفاخرة . ثم ذمهم على ترك شرطها بقوله : « فما رعوها حق رعايتها » لأن كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، أحبطها .

(٢) ومدحهم الله تعالى على الرهبانية ابتداء ، فقال : ورهبانية ابتدعوها»

(٣) رواه أبو داود من حديث أبى أمامة ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ، والبيهقى فى الشعب من حديث أنس .

(٤) رواه البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة ، وقال ابن حجر على هامش نسخة المغنى ما نصه : لعله موقوف .

(٥) أى بمنزلتها لما فى كل منهما قطع المألوفات والمستلذات من سـائر الأنـواع .

أو يكتنفه بلد (١) ، ليكون ذلك أبلـــغ فى رقهم وعبوديتهم ، وأم فى اذعانهم وانقيادهم ، ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بهـــا النفوس ، ولا تهتدى الى معانيها العقول (٢) : كرمى الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار • وبمثل هذه الأعمـــال يظهر كمال الرق والعبودية ، فان الزكاة ارفاق(٣) ، ووجهه مفهوم ، وللعقل اليه ميل (٤) •

والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله ، وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل (٥) ، والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هى هيئة التواضع (٦) ، وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل •

فأما ترددات السعى ورمى الجمار ، وأمثال هذه الأعمال فلاحـــظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ، ولا اهتداء للعقل الى معانيها ، فلا يكون فى الاقدام عليها باعث الا الأمر المجرد ، وقصد الامتثال للأمر من حيث انه أمر واجب الاتباع فقط ، وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه (٧) ، فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما ، فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل ، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحج على الخصوص :

« لبيك بحجـــة حقا تعبدا ورقا (٨) » ، ولم يقل ذلك فى صـــلاة ولا غيرها •

واذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون

---

(١) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •
(٢) القاصرة عن ادراك المعانى الغريبة •
(٣) أى بذل ما فيه الرفق لفقراء المسلمين •
(٤) وفى نسخة أخرى : وللعقل اليه سبيل •
(٥) وفى نسخة أخرى « والصوم فيه كسر الشهوة التى هى آلة الشيطان عدو الله عز وجل ، وفيه تفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل »•
(٦) من انحناء الظهر ، ووضع الجبهة فى الأرض •
(٧) وفى نسخة أخرى : وصرف النفس والطبع عن محل طبعه •
(٨) سبق تخريجه •

اعمالهم على خلاف هوى طباعهم (١) . وان يكون زمامها بيد الشرع ، فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد ، وعلى مقتضى الاستعباد ، وكان ما لا يهتدى الى معانيه ابلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفس ، وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق ، الى مقتضى الاسترقاق .

واذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هـذه الأفعـال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات . وهذا القدر كاف فى تفهم أصل (٢) الحج ان شاء الله تعالى .

الشـوق الى الحج

وأما الشوق : فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل ، وأنه وضع على مثال حضرة الملوك ، فقاصده قاصد الى الله عز وجل وزائر له ، وان من قصد البيت فى الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته ، فيرزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له ، وهو النظر الى وجه الله الكريم فى دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله عز وجل ، ولا تطيق احتماله (٣) ، ولا تستعد للاكتحال به لقصورها ، وأنها ان أمدت فى الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار (٤) ، ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم (٥) .

---

(١) وتالفه نفوسهم بحسب الاعتياد .

(٢) وفى نسخة أخرى : فى تفهم أصل الأعمال فى الحج .

ثم يقول الشيخ الأكبر فى كتاب الشريعة :

« الحاج وفـد الله ، دعاهم الحق الى بيته وما دعاهم اليه سبحانه بمفارقة الأهل والوطن والعيش الترف وطاهم بحلية الشعث والغبرة الا ابتلاء ليريهم من وقف مع عبوديته ممن لم يقف ، ولهـذا افعـال الحج اكثرها تعبـدات » اهـ .

(٣) وفى نسخة أخرى : تطيق احتمال ذلك .

(٤) وذلك حسب قابليتها المفاضة عليها .

(٥) فالحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ، وفيها تقع المشاهدة ، اذ هى دار المشاهدة واللقاء ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، انه خرج فرأى ركبا فقال : من الركب ؟ فقالوا حاجين ، قال أنهزكم غيرها ؟ ثلاث مرات ، قالوا : لا . قال : لو يعلم الركب بمن أناخوا لقرت أعينهم بالفضل بعد المغفـرة » اهـ .

فالشوق الى لقــاء الله عز وجل يشوقه الى أســباب اللقاء لا محالة(١) .

هذا مع أن المحب مشتاق الى كل ماله الى محبوبه اضافة ، والبيت مضــاف الى الله عز وجل . فبالحرى أن يشتاق اليه لمجــرد(٢) هذه الاضافة ، فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل(٣) .

العــزم على الحج

وأما العزم : فليعلم أنه بعزمه قاصد الى مفارقة الأهل والوطن ، ومهاجرة الشهوات واللذات ، متوجها الى زيارة بيت الله عز وجل .

وليعظم فى نفسه قدر البيت وقدر رب البيت(٤) .

وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره ، وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم (٥) ، وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة (٦) وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله الا الخالص (٧) ، وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره (٨) ، فليصحح مع نفسه العزم ، وتصحيحه باخلاصه واخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة (٩) ، فليحذر الذى هو أدنى بالذى هو خير (١٠) .

---

(١) ففى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه مرفوعا :
« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه » .

(٢) وفى نسخة أخرى : بمجرد هذه الاضافة .

(٣) بل ربما يقطع نظره عن تأمل ذلك .

(٤) وفى نسخة أخرى : فليعظم فى نفسه قدر البيت لقدر رب البيت ، وتعظيمه ينشأ عن تعظيم من أضافه الى نفسه .

(٥) ما عنده وحينئذ تهون عليه المصائب والشدائد فى البدن والمــال .

(٦) فقد روى سعيد بن منصور عن عمر رضى الله عنه :
« من أتى هذا البيت لا يرد الا اياه وطاف طوافا ، كان من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

(٧) وفى نسخة أخرى : « الا الخالص لوجه الله تعالى » .

(٨) فالاتيان الى البيت مشروط بالاخلاص ، وتصحيح القصد كما دل عليه قول عمر ، وهو أهم ما يشترط فيه .

(٨) وغيرهما من الأوصاف الذميمة ، كما دلت عليه الأخبار ، ودل عليه حديث أنس فى اعلام : من يأتى فى آخر الزمان يحج للرياء والسمعة .

(١٠) فيقع بسبب ذلك فى مقت ، وطرد ، وخسران .

التجرد للحج

وأما قطع العلائق : فمعناه رد المظالم ، والتوبة الخالصة لله تعالى ، عن جملة المعاصى ، فكل مظلمة علاقة ، وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه[١] ينادى عليه ويقول له : الى أين تتوجه ؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره فى منزلك هذا ، ومستهين به ، ومهمل له[٢] ؟

أولا لا تستحى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيردك ولا يقبلك ، فان كنت راغبا فى قبول زيارتك فنفذ أوامره ، ورد المظالم ، وتب اليه أولا من جميع المعاصى ، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك[٣] ، لتكون متوجها اليه بوجه قلبك ، كما أنك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك ، فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا الا النصب والشقاء ، وآخرا الا الطرد والرد • وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود اليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله[٤] ، فان المسافر وماله لعلى خطر الا من وقى الله سبحانه[٥] •

وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة ، فان ذلك بين يديه على القرب ، وما يقدمه من هذا السفر طمع فى تيسير ذلك السفر ، فهو المستقر واليه المصير ، فلا ينبغى أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر •

---

(١) جمع لبب محركة على غير قياس ، وهو من سيور السرج ، ما يقع على اللبة ، أى المنحر ، ولببه تلبيبا أخذه بمجامعه •

(٢) مهملة له بارتكاب منهياته ومحظوراته ، ومخالفة مأموراته •

(٣) من الأهل ، والمال ، والولد •

(٤) وذوى قرابته وغيرهم من وجوه الخير •

(٥) أخرج ابن ماجه عن جابر مرفوعا :

« من مات على وصية مات على سبيل وسنة ، ومات على تقى وشهادة ، ومات مغفورا له » •

الزاد للحج

وأما الزاد : فليطلبه من موضع حلال(١) ، واذا أحس من نفسه الحرص على أستكثاره ، وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد ، فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر ، وأن زاده التقوى ، وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه ، كالطعام الرطب الذى يفسد فى أول منازل السفر(٢) ، فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له •

فليحذر أن تكون أعماله التى هى زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت ، بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير(٣) •

الراحـــلة

وأما الراحلة : اذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة(٤) ، وليتذكر عنده المركب الذى يركبه الى دار الآخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها ، فان أمر الحج من وجه يوازى أمر السفر الى الآخرة ، ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب ، فما أقرب ذلك منه ، وما يدريه لعل الموت قريب (٤) ، ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل ، وركوب الجنازة مقطوع به ، وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه ، فكيف يحتاط فى أسباب السـفر المشكوك فيه ويستظهر فى زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن •

---

(١) حلال طيب ، ولا يحمل منه الا ما خف وكفى •

(٢) فلا ينتفع به ، فيبقى وقت الحاجة والاضطراب •

(٣) فان الأعمال بمنزلة العسل ، والشوائب كالخل ، فهى تفسدها كافساد الخل العسل •

(٤) وليذكر قوله تعالى : « وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس » •

(٥) يفجؤه بغتة ، فلا يقبل شفيعا ولا رادا •

لبــاس الاحــرام

وأما شراء ثوبى الاحرام : فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه ، فانه سيرتدى ويتزر بثوبى الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره اليه ، وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا فى ثياب الكفن لا محالة(١) ، فكما لا يلقى بيت الله عز وجل الا مخالفا عادته فى الزى والهيئة ، فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت الا فى زى مخالف لزى الدنيا ، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما فى الكفن(٢) .

الخــروج للحج

وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها الى الله عز وجل فى سفر لا يضاهى أسفار الدنيا ، فليحضر فى قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه ، وزيارة من يقصد وأنه متوجه الى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له ، الذين نودوا (٣)فأجابوا ، وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا ، وقطعوا العلائق ، وفارقوا الخلائق ، وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذى فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره (٤) ، تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت ، الى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم (٥) .

وليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول لا ادلالا بأعماله فى الارتحال ومفارقة الأهل والمـــال ، ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ، ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته (٦) ، وليرج أنه ان لم يصل اليه

---

(١) لما ورد : يحشر الميت فى ثيابه ، ولذلك أمر بتحسين الأكفان .

(٢) ليس فيه مخيط فما أشبهه به .

(٣) وذلك على لسان خليله ابراهيم عليه السلام ، بعد فراغه من بناء البيت .

(٤) تعريفا لهم على لسان أنبيائه ورسله .

(٥) فى الكثيب الأبيض يوم الزور الأعم .

(٦) من رجوعه كيوم ولدته أمه ، ورفع الدرجات بكل خطوة وتكفير السيئات والأخلاق فى التنفير ، وغير ذلك .

وأدركته المنية فى الطريق لقى الله عز وجل وافــدا اليه اذ قال جل جــلاله :

« ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه المــوت فقد وقع أجره على الله (١) ٠

الدخول الى الميقــات

وأما دخول البادية الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات :

فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات ٠

وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ، ومن سباع البوادى عقارب القبر وديدانه (٢) وما فيه من الأفاعى والحيات ، ومن انفراده عن أهله وأقاربه ووحشة القبر وكربته ووحدته وليكن فى هذه المخاوف فى أعماله وأقواله متزودا لمخاوف القبر ٠

الاحــرام والتلبية

وأما : الاحرام والتلبية من الميقات :

فليعلم أن معناه اجابة نداء الله عز وجل ، فارج (٣) أن تكون مقبولا ، وأخش أن يقال لك : لا لبيك ولا سعديك ٠ فكن بين الرجاء والخــوف مترددا ، وعن حولك وقوتك متبرئا ، وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا ، فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهى محل الخطر (٤) ٠

---

(١) والهجرة المذكورة أعم من أن تكون للجهاد فى سبيل الله ، وللحج الى البيت ، ولطلب العلم ، وغير ذلك من وجوه الخير ، وهكذا جاءت السنة ، فقد روى الخطيب ، وابن عساكر عن ابن عباس مرفوعا :

« من مات محرما حشر ملبيا » ٠

(٢) وما فيه من الحشرات والعقارب تالف القبور كثيرا ، كما هو مشاهد ٠

(٣) وفى نسخة أخرى : فأرجو أن يكون مقبولا ، ويخشى أن يقال له ٠

(٤) وفى نسخة أخرى : « وهو محل الخطر » ٠

قال سفيان بن عيينة :

حج على بن الحسين رضى الله عنهما (١) ، فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى ، فقيل له : لم لا تلبى ؟

فقال : أخشى أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك ، فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته ، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه (٢) .

وقال أحمد بن أبى الحوارى :

كنت مع أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه حين أراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال : يا أحمد ان الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام : مر ظلمة بنى اسرائيل أن يقلوا من ذكرى فانى أذكر من ذكرنى منم باللعنة ، ويحك يا أحمد : بلغنى أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل : لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يديك ، فما نأمن أن يقال لنا ذلك (٣) .

وليتذكر الملبى عند رفع الصوت (٤) بالتلبية فى الميقات اجابته لنداء الله عز وجل ، اذ قال (٥) :

« وأذن فى الناس بالحج » .

ونداء الخلق بنفخ الصور ، وحشرهم من القبور ، وازدحامهم فى عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ، ومنقسمين الى مقربين وممقوتين ، ومقبولين ومردودين . ومترددين فى أول الأمر بين الخوف

---

(١) ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، الملقب بزين العابدين .

(٢) أخرجه ابن الجوزى فى مثير العزم .

(٣) وفى نسخة فأنا خائف من أن يقال لنا ذلك ، أخرجه ابن الجوزى فى مثير العزم ، ونقله الطبرى فى المناسك الى قوله : يديك ، وعندهما أن لا يذكرونى ، بدل أن يقلوا من ذكرى .

وأما قول الدارانى : ان الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام ، فقد أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس بلفظ : أوحى الله الى داود أن قل للظلمة لا يذكرونى ، فانى أذكر من يذكرنى ، وان ذكرى اياهم أن ألعنهم » اهـ

(٤) وفى نسخة أخرى : « وليتفكر الملبى عند رفع الأصوات بالتبلية فى الميقـات .

(٥) وذلك على لسان خليله ابراهيم عليه السلام .

والرجاء ، تردد الحاج فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم اتمام الحج وقبوله أم لا(١) .

دخــول مكة

وأما دخول مكة : فليتذكر عندها إنه قد انتهى الى حرم الله تعالى(٢) امنا ، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل ، وليخش أن لا يكون اهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للمقت (٣) ، وليكن رجاؤه فى جميع الأوقات غالبا ، فالكرم عميم ، والرب رحيم ، وشرف البيت عظيم ، وحق الزائر مرعى(٤) ، وذمام المستجير اللائذ غير مضيع .

مشــاهدة البيت

وأما وقوع البصر على البيت ، فينبغى أن يحضر عنده عظمة البيت فى القلب ، وبقدر (٥) كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه اياه ، وارج أن يرزقك الله تعالى النظر الى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر الى بيته العظيم .

واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة(٦) الوافدين عليه ، واذكر عند ذلك انصباب الناس فى القيامة الى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ، ثم انقسامهم الى مأذونين فى الدخول ومصروفين ، انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين .

ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة فى شىء مما تراه ، فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة .

---

(١) فحال هؤلاء لا يوازى حال هؤلاء .

(٢) وفى نسخة أخرى : الى حرم الله عز وجل وأمنه . والمعنى : كالذى يدخل فى حضرة الملك فيأمن من سائر المخاوف .

(٣) والطرد فلا ينفعه من دخول الحرم شىء .

(٤) اذ حق على المزور أن يرعى زائره ويكرمه .

(٥) وفى نسخة أخرى : « وليقدر عند ذلك كأنه مشاهد لرب البيت » . ثم يعلق الزبيدى على هذا فيقول :
« فيغض بصره ولا يلتفت يمينا وشمالا كما هو مقام الاحسان » .

(٦) وفى نسخة أخرى : « هذه المرتبة والحاقه اياه بزمرة الوافد اليه . والمعنى : فانه نعمة جليلة لا يطيق أن يقوم بواجب شكرها » .

الطـواف بالبيت

وأما الطواف بالبيت :

فاعلم أنه صلاة(١) فاحضر فى قلبـك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه فى كتاب الصلاة(٢) .

واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله(٣) ، ولا تظنن أن المقصود طواف جسـمك بالبيت ، بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت ، حتى لا تبتدىء الذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدىء الطواف من البيت وتختم بالبيت(٤) .

---

(١) أخرج أحمد والنسائى عن طاوس عن رجل أدرك النبى صلى الله عليه وسلم قال :

الطواف بالبيت صلاة فأقلوا من الكلام .

وأخرجه الشافعى عن طاوس عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« الطواف بالبيت صلاة ولكن الله أحل فيه النطق ، فمن نطق فيه فلا ينطق الا بخير » والأحاديث والأخبار فى ذلك كثيرة .

(٢) بدليل أن حكمه حكم الصلاة الا ما وردت فيه الرخصة من الكلام وغيره ، ومقتضى ما ذكر ابطاله بما يبطل الصلاة حيث جعل حكمه حكمها .

(٣) لأن الله سبحانه نسب العرش الى نفسه كما نسب البيت الى نفسه ، وجعل العرش محل الاسـتواء الرحمن وقال « **الرحمن على العرش استوى** » .

وجعل الملائكة حافين به بمنزلة الحراس الذين يدورون بدار الملك والملازمين بابه لتنفيذ أوامره ، وجعل الله الكعبة بيته ، ونصب الطائفين به على ذلك الأسلوب ، وبذلك تم التشبيه ، ولكن البيت تميز عن العرش بأمر ما هو فى العرش ، وهو يمين الله فى الأرض .

يقول الشيخ الأكبر :

« نسب الله اليه البيت سبحانه وأخبر أنه أول بيت وضعه الله تعالى معبدا ، وجعله نظيرا ومثيلا لعرشه وجعل الطائفين به كالملائكة الحافين من حول العرش يسبحون ربهم » .

(٤) وهذا هو الذى وقعت الاشارة اليه فى قوله : « **يسبحون بحمد ربهم** » أى بالثناء على ربهم وثناؤنا على الله فى طوافنا أعظم من ثناء الملائكة عليه سبحانه بما لا يتقارب ، لأنهم فى هذا الثناء نواب عن الحق يثنون عليه بكلامه الذى أنزله عليهم ، وهم أهل الله وأهل القرآن فهم نائبون عنه فى الثناء عليه فلم يشبه ذكرهم استنباطا نفسيا ولا اختيارا كونيا .

واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية ، وأن البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت ، كما ان البدن مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب ، وأن عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب .

والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بأن البيت المعمور فى السموات بازاء الكعبة ، فان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت(١) .

ولمــا قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ، ووعدوا بأن :

« من تشبه بقوم فهو منهم »(٢) .

والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال : ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أوليــاء الله سبحانه وتعالى .

استلام الحجر الأسود

وأما الاستلام :فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته ، فصمم عزيمتك على الوفاء(٣) ببيعتك ، فمن غدر فى المبايعة استحق المقت(٤) .

---

(١) أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب ، عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« البيت المعمور فى السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه حتى تقوم الساعة » .

(٢) رواه أبو داود من حديث ابن عمر بســند صحيح ، ورواه البزار عن ابن عبيدة بن حذيفة عن أبيه .

(٣) وفى نسخة : فصمم عند ذلك قيامك بالوفاء .

(٤) ويقول الشيخ محيى الدين :

« اعلم أن البيت تميز على العرش بأمر ما هو فى العرش وهو يمين الله فى الأرض لتبايعه فى كل شوط مبايعة رضوان وبشرى وقبول ، لمـا كان معا فى كل شوط من الذكر والحضور والحركة فاذا انتهينا الى اليمين الذى هو الحجر استشعرنا من الله سبحانه بالقبول ، فبايعناه وقبلنا يمينه المضافة اليه قبول فرح واستبشار وهكذا فى كل شوط فان كثر الازدحام اليه اعلاما بأنا نريد تقبيله واعلاما بعجزنا عن الوصول اليه » اهـ .

وقد روى ابن عباس رضى الله عنه عن رســول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :

« الحجر الأسود يمين الله عز وجل فى الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه »[١] .

التعلق بأســتار الكعبة

وأما التعلق بأستار الكعبة[٢] والالتصاق بالملتزم . فلتكن نيتك فى الالتزام طلب القرب حبــا وتشــوقا للبيت ولرب البيت ، وتبركا بالمماسة ، ورجاء للتحصن عن النار ، فى كل جزء من بدنك لا فى البيت ، ولتكن نيتك فى التعلق بالستر الالحاح فى طلب المغفرة وسؤال الأمان ، كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب اليه المتضرع اليه فى عفوه عنه المظهر له أنه لا ملجأ له منه الا اليه ، ولا مفزع له الا كرمه ، وعفوه ، وأنه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الأمن فى المستقبل .

السعى بين الصفا والمروة

وأما السعى بين الصفا والمروة فى فناء البيت : فانه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى ، اظهارا للخلوص فى الخدمة ، ورجاء للملاحظة بعين الرحمة (٣) ، كالذى دخل على الملك وحرج وهو لا يدرى ما الذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أو رد ، فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية ان لم يرحم فى الأولى . وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة ، وليمثل الصفا بكفة الحسنات (٤) ، والمروة بكفة السيئات (٥) .

---

(١) تتقدم تخريجه وهو من حديث ابن عمرو .

(٢) وهو بين الباب والحجر الأسود .

(٣) عسى أن يقع عليه نظر الملك فى بعض ملاحظاته فتشمله رحمته فى جملة المرحومين .

(٤) لأن الله تهمم بها بالذكر فبدأ بها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ابدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا وقرأ الآية ، ولذلك ناسب تمثله بكفة الحسنات .

(٥) اذ بها يختم السعى وكلاهما نظيران كما أن الحسنات نظير السيئات ، وحكمهما على السواء ، لأن الشىء المقابل هو من مقابلة على خطأ السواء .

وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران (١) •

الوقوف بعــرفة

وأما الوقوف بعرفة : فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات ، واختلاف اللغات ، واتباع الفرق أئمتهم فى الترددات على المشاعر ، اقتفاء لهم ، وسيرا بسيرهم ، عرصات القيامة ، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة (٢) ، واقتفاء كل أمة نبيها ، وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول •

واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله عز وجل ، فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين • وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف ، والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض •

---

(١) فعندما يرقى فى الصفا يعبر عن أسفه وحزنه على ما فاته من تضييع حقوق الله تعالى عليه ، ويستقبل البيت بالدعاء والذكر •

فاذا وصل الى المروة وهو موضع نائلة يأخذه من العطية فيحصل له الأجر ، وليفعل ذلك فى السبعة الأشواط ، لأن الله تعالى امتن عليه بسبع صفات ليتصرف فيها وبصرفها فى أداء حقوق الله لا يضيع منها شيئا ، فيأسف على ذلك ، فيعجل الله له أجره فى اعتبار نائلة بالمروة الى أن يفرغ •

وليلاحظ أن السعى فى هذا الموضع جمع الأحوال الثلاثة ، وهى الانحدار ، والترقى ، والاستواء ، فانحداره الى الله ، وصعوده الى الله ، واستواؤه مع الله بالله فى الله عن أمر الله •

فليكن فى كل من أحوله الثلاثة مع الله لله ، وليتحقق أن الصفا والمروة من الحجارة ، والمطلوب منها ما تعطيه حقيقتهما من الخشية والحياة ، والعلم بالله والثبات فى مقامهما •

فمن سعى ووجد مثل هذه الصفات فى نفسه حال سعيه فقد سعى وحصل نتيجة سعيه فانصرف من مسعاه ، حيى القلب بالله ذا خشية من الله ، عالما بقدره وبماله ولله ، وان لم يكن كذلك فما سعى بين صفا ومروة • قاله صاحب اتحاف السادة •

(٢) الهادين المقتدى بهم فى الدنيا •

ولا ينفـك الموقف عن طبقـة من الأبدال والأوتاد ، وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب (١) •

فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم (٢) ، وارتفعت الى الله سبحانه أيديهم وامتدت اليه أعناقهم ، وشخصت نحو السماء أبصارهم (٣) ، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ، فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سـعيهم ويدخر عنهم الرحمـة تغمـرهم •

ولذلك قيل : ان من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له ، وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد ، هو سر الحج وغاية مقصوده(٤) ، فلا طريق الى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد(٥) •

---

(١) فالله سبحانه وتعالى ما دعاهم الى هذا الموقف للوقوف بين يديه ، الا تذكرة لقيام الناس يوم القيامة لرب العالمين ، ويتميز الفرق بعضهم عن بعض بسيماهم ، وأن اتيان الله لهم فى هذا الموقف اتيان بمغفرة ورحمة ، وفضل وانعام ينال ذلك الفضل الالهى فى هذا اليوم من هو أهله ، فتعمهم معفرة الله ورضوانه •

(٢) باخلاصها وتمحيصها •

(٣) فرآهم فى شئونهم سكارى هائمين نشاوى سارحين •

(٤) وفى نسخة أخرى : وغايته ومقصوده •

(٥) ومن هنا قال العارفون :

اذا قرئت سورة يس فى جوف الليل الذى هو الثلث الأخير ، لأى حاجة قضيت مع الاخلاص ، لأنه اجتمعت فيه ثلاثة قلوب : قلب الداعى ، وقلب القرآن ، وقلب الليل ، فاذا كان هذا فى قلوب ثلاثة فما بال آلاف من القلوب ، مع شرف الموقف ، وهو سر جليل •

« رمى الجمــار »

وأما رمى الجمار : فاقصـــد به الانقياد للأمر اظهـــارا للرق والعبودية ، وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه (١) ، ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يمريه باحجارة طردا له وقطعا لأمله (٢) ، فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه ، وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقـــاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل اليك أنه فعل لا فائدة فيه ، وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به •

فاطرده عن نفسك بالجـــد والتشمير فى الرمى فيـــه برغم أنف الشيطان (٣) •

واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى الى العقبة ، وفى الحقيقـــة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصـــل ارغام أنفـــه الا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه (٤) ،

---

(١) لأنه أمر تعبدى لا مدخل فيه للعقل والنفس ، وانما هو مجرد اتباع ، ولا شك أن من ترك شيئا من اتباع الرسول ، فانه ينقص من محبة الله اياه على قدر ما نقص من أتباع الرسول وكذب نفسه فى محبته لله بعدم تمام الاتباع •

فلو اتبعه فى جميع أموره ، وأخل بالاتباع فى أمر واحد ما اتبعه قط ، وانما اتبع هوى نفسه لا هو مع ارتفـــاع الأعذار الموجبة لعدم الاتبـــاع ، فلا ينبغى التساهل فيه •

(٢) أخرج محمد بن اسحق قال :

لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاء جبريل عليه السلام ، فقال له : طف به سبعا ثم ساق الحديث •

(٣) ولهذه الملاحظة شرع فيه من الدعاء رغما للشيطان كما سبق فى الأدعيـــة •

(٤) وهذا الذى ذكره المصنف أولا وثانيا : أن رمى الجمار أمر تعبدى والعقل والنفس معزولان فيه كغالب أعمال الحج هو الذى صرح به العارفون فى كتبهم وربما يفهم منه ، أنه غير معقول المعنى وليس الا التعبد والتشبه

وأما ذبح الهدى : فاعلم أنه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال (١) ، فاكمل الهدى وارج أن يعتق الله بكل جزء (٢) منه جزءا منك من النار (٣) فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم •

زيارة المدينة

وأما زيارة المدينة : فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم (٤) ، وجعل اليها هجرته ، وأنها داره التى شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسننه ، وجاهد عدوه وأظهر بها دينه ، الى ان توفاه الله عز وجل (٥) ، ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما (٦) •

ثم مثل فى نفسك مواقع أقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ترددانه فيها ، وأنه ما من موضع قدم تطؤه الا وهو موضع أقدامه العزيزة ، فلا تضع قدمك عليه الا عن سكينة ووجل ، وتذكر مشيه وتخطيه فى سككها ، وتصور خشوعه وسكينته فى المشى ، وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع (٧)ذكره تعالى ، حتى

فقط وهو ليس على ظاهره ، فان فى رمى الجمار اعتبارا لأهله فى سياقه غموض ودقة وانما أورده على الاجمال •

(١) الامتثال لأمره على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم •

(٢) وفى نسخة أخرى : » فليكمل الهدى وأجزاءه ، وليرج أن يعتق بكل جزء منه جزءا من أجزائه من النار « •

(٣) قال العراقى : لم أقف له على أصل •

وفى كتاب الضحايا لأبى الشيخ ، من حديث أبى مسعود :

فان لك بأول قطرة من دمها يغفر لك ما سلف من ذنوبك ، يقوله لفاطمة رضى الله عنها ، واسناده ضعيف •

(٤) ولا يختار الحبيب لحبيبه الا أشرف البقاع •

(٥) وذلك بعد اكمال الشرائع ، واتمام الشعائر ، ((**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**)) •

(٦) أبو بكر وعمر رضى الله عنهما •

(٧) حيث قال تعالى : ((**ورفعنا لك ذكرك**)) وجاء فى تفسيره : ما ذكرت الا وذكرت معى ، حتى قالوا :

ان **كلمة** الشهادة لا تتم الا بذكره صلى الله عليه وسلم •

قرنه بذكر نفسه ، واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صــوته (١) •

ثم تذكر ما من الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه ، وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبه اصحابه رضى الله عنهم (٢) ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته فى الدنيا وأنك من رؤيته فى الآخرة على خطر ، وانك ربما لا تراه الا بحسرة وقد حيل بينك وبينه قبوله اياك بسوء عملك ، كما قال صلى الله عليه وســــلم :

« يرفع الله الى أقواما فيقولون يا محمد يا محمد ! فأقول يا رب أصحابى ! فيقــول انك لا تدرى ما أحــدثوا بعدك • فأقول بعــدا وسحقا » (٣) •

فان تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك (٤) عن محبته ، وليعظم من ذلك رجاؤك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الايمان ، وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ فى دنيا ، بل لمحض حبك له

(١) لقوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى** » ثم قال : « **أن تحبط أعمالكم** » •

(٢) فانها هى النعمة الجليلة التى ينبغى التأسف على فواتها ، فان شرف صحبته عظيم ، ثم شرف صحبة أصحابه يليه فى الشرف ، وقد شهد صلى الله عليه وسلم بخيرية قرنه ثم الذى يليه •

(٣) وهذا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله : يا محمد ، يا محمد •

(٤) بالاخلال فى الاتباع ولو فى أمر واحد من غير عذر موجب للمقت ، قال الله تعالى :

« **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** » فجعل الاتباع دليلا •

وما قال فى شىء دون شىء : يحببكم الله •

وقال تعالى : « **وأوفوا بعهدى** » ، اى فى دعواكم محبتى ، أوف بعهدكم ، وهو أنى أحبكم ، اذا صدقتم فى محبتى ، وجعل الدليل على صدقهم ومحبة الله اياهم الاتباع ، فعلى قدر ما ينقص ينقص •

وعند أهل الله ، هو أمر لا يقبل النقص ، وان العذر لا ينفعه ، فانه فى جنب الله عن الاتباع فى أمر ما فالحق ينوب عنه فى ذلك •

وشـــوقك الى أن تنظر الى آثاره والى حائط قبره اذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لـــا فاتتك رؤيته ، فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة .

فاذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وافضلهم عصابة ، وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت فى تلك العرصة ، وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا ، فليعظم أملك فى الله سبحانه أن يرحمك بدخولك اياه ، فادخله خاشعا معظما ، وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن ، كما حكى عن أبى سليمان أنه قال :

حج أويس القرنى رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له :

هذا قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فغشى عليه ، فلما أفاق قال : أخرجونى فليس يلذ لى بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون[1] !

زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم : فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا[2] ، ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا ، وكما كنت ترى الحرمة فى أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه ، فكذلك فافعل ، فان المس والتقبيل للمشاهدة عادة النصارى واليهود .

واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك ، وأنه يبلغه سلامك وصلاتك . فمثل صـــورته الكريمة فى خيـــالك موضوعا فى اللحـد بازائك[3] واحضر عظيم رتبته فى قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه

---

(١) وكان أويس من المستغرقين فى حبه صلى الله عليه وسلم ، وأخباره فى ذلك مشهورة ، وترجمته واسعة ، وقد أورد قصة اجتماعه بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، الامام مسلم فى أواخر صحيحه .

(٢) بكمال الاحترام ، والأدب التام والخشوع والخضوع .

(٣) معتقدا حياته صلى الله عليه وسلم ، وأنه فى قبره الشريف طرى كما وضع صلى الله عليه وسلم .

وسلم : « أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته »(١) •

هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا الى لقائه ، واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم ، اذ فاته مشاهدة غرته الكريمة ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« من صلى على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا » (٢) •

فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ؟

ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبى صلى الله عليه وسلم المنبر ، ومثل فى قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم ، وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته (٣) ، وسل الله عز وجل أن لا يفرق فى القيامة بينك وبينه • فهذه وظيفة القلب فى أعمال الحج •

فاذا فرغ منها كلها فينبغى أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى أقبل منه حجه وأثبت فى زمرة المحبوبين أم رد حجه وألحق بالمطرودين (٤) •

---

(١) أخرج ذلك النسائى ، وابن حبان ، والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود بلفظ :

« ان لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى من أمتى السلام » •

(٢) رواه الاماه مسلم من حديث أبى هريرة ، وعبد الله بن عمر •

ورواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان عن أبى هريرة •

ورواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر وابن عمرو وأبى موسى وعن أنس ، عن أبى طلحة •

ورواه البيهقى عن أبى طلحة بزيادة : فليكثر عبد من ذلك أو ليقل •

ورواه الطبرانى عن أبى أمامة بزيادة بها ملك موكل حتى يبلغنيها » •

(٣) الشريفة بكمال فصاحته وقوة بلاغته ، وجزالة لفظه صلى الله عليه وسلم •

(٤) عن الحضرة الالهية ، وهل لذلك علامة يتميز بها المقبول من المردود ، أشار المصنف الى ذلك بقوله :

« وليعرف ذلك من قلبه وأعماله ، فان كلا منهما أول دليل على حضور مرتبة التمييز » •

وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله ، فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا الى دار الأنس بالله تعالى ، ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع[١] ، فليثق بالقبول ، فان الله تعالى لا يقبل الا من أحبه ، ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته[٢] ، وكف عنه سطوة عدوه ابليس لعنه الله[٣] ، فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب . نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك .

تم كتاب أسرار الحج ان شاء الله تعالى[٤] .

---

(١) أى يكون صدورها فى الاعتدال الشرعى .

(٢) وتلك الآثار هى العلامات الدالة على توليه اياه .

(٣) اذ ولاية الله له هى الحصن المانع من كبوده ، وهذا هو المعبر عنه بالحفظ ، فهو لأوليائه كالعصمة لأنبيائه .

(٤) والحمد لله تعالى على توفيقه وحسن تفضله ، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه وسلك طريقه الى يوم الدين .

محتويات الكتاب